# الاكتفاء وأسراره في القرآن الكريم

إعداد

د / أحمد إمام عبد العزيز عبيد

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين بطنطا - جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

## أما بعد

فإن هذا هو ثالث بحث أشرف بتقديمه ؛ ليُنشر في حولية كلية أصول الدين بطنطا – جامعة الأزهر .

### أهمية الموضوع وسبب اختياره

تبرز أهمية هذا الموضوع ؛ حيث إنه يتعلق بجانب مهم تكلم عنه علماء البلاغة ، وبعض العلماء الذين ألَّفوا في علوم القرآن كالإمامين الزركشي والسيوطي ، فهو فن جميل يُكسب الكلام روعة وجمالًا ، ولذلك استعمله القرآن الكريم ، فهو مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم ، ولذلك استخرت الله – عز وجل – ثم استعنت به – تعالى – وعزمت على الكتابة في هذا الموضوع .

### منهج البحث

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي ، حيث قمت بتتبع بعض المواضع التي ذكر العلماء أن فيها اكتفاء ، ودراستها ، وتحليلها للوقوف على حقيقة اشتمالها على ذلك من عدمه ، كما سبقت ذلك بدراسة نظرية بينت فيها الفرق بين الإيجاز والإطناب والمساواة ، ثم أقسام الإيجاز وتعريف كل قسم ، ثم أقسام الإيجاز

بالحذف والفرق بينها ، ثم تعريف الاكتفاء ، ثم الدراسة التطبيقية وفيها أمثلة لبعض مواضع الاكتفاء في القرآن الكريم وبيان السر فيها.

**هيكل البحث**

قسمت هذا البحث إلى مقدمة ، وفصلين ، وخاتمة :

**أما المقدمة** فقد تناولت الحديث فيها عن سبب اختيار البحث ، ومنهجه ، وهيكله .

**وأما الفصل الأول فقد خصصته للدراسة النظرية ، وقد قسمته إلى أربعة مباحث :**

**المبحث الأول** : الفرق بين الإيجاز والإطناب والمساواة .

**المبحث الثاني** : أقسام الإيجاز ، وتعريف كل قسم .

**المبحث الثالث** : أقسام الإيجاز بالحذف ، والفرق بينها .

**المبحث الرابع** : تعريف الاكتفاء .

**وأما الفصل الثاني فقد خصصته للدراسة التطبيقية ، وقد قسمته إلى أربعة مباحث :**

**المبحث الأول** : أمثلة لبعض مواضع الاكتفاء في سورة البقرة ، وبيان السر فيها .

**المبحث الثاني** : أمثلة لبعض مواضع الاكتفاء من أول سورة آل عمران إلى آخر سورة الأنعام ، وبيان السر فيها .

**المبحث الثالث** : مثالان لموضعين من مواضع الاكتفاء من أول سورة الأعراف إلى آخر سورة العنكبوت ، وبيان السر فيهما .

**المبحث الرابع** : مثالان لموضعين من مواضع الاكتفاء من أول سورة الروم إلى آخر سورة الناس ، وبيان السر فيهما .

**وأما الخاتمة** فقد تناولت فيها الحديث عن أهم نتائج البحث .

ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع ، رتبته أبجدياً ، ذاكرًا اسم الكتاب أولًا ، ثم المؤلف ، ثم المحقق إن وجد ، ثم دار النشر ، ثم رقم الطبعة وتاريخها .

**ثم آخراً فهرس الموضوعات .**

والله أسأل أن أكون قد وفقت في هذا البحث ، وأن يهديني لما اختُلف فيه من الحق بإذنه ، إنه وليٌّ ذلك والقادر عليه ، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة ، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

# الفصل الأول
# الدراسة النظرية

ويحتوي على أربعة مباحث

**المبحث الأول : الفرق بين الإيجاز والإطناب والمساواة .**

**المبحث الثاني : أقسام الإيجاز ، وتعريف كل قسم .**

**المبحث الثالث : أقسام الإيجاز بالحذف ، والفرق بينها .**

**المبحث الرابع : تعريف الاكتفاء .**

## المبحث الأول
## الفرق بين الإيجاز والإطناب والمساواة

**تمهيد** :

قبل الحديث عن الإيجاز والإطناب والمساواة يتحتم علي أن أعطي نبذة مختصرة عن علم المعاني الذي يندرج تحته هذا المبحث ، كانت مسائل علم البلاغة مختلطة حتى بدأ العلماء في فصل علومها شيئًا فشيئًا، ثم جاء الإمام عبد القاهر الجرجاني فوضع نظرية علم المعاني وعلم البيان، وقبله الإمام ابن المعتز الذي وضع أساس علم البديع ، يقول الدكتور / عبد العزيز عتيق:" علم المعاني هو أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة: المعاني والبيان والبديع. وقد كانت البلاغة العربية في أول الأمر وحدة شاملة لمباحث هذه العلوم بلا تحديد أو تمييز. وكتب المتقدمين من علماء العربية خير شاهد على ذلك، ففيها تتجاور مسائل علوم البلاغة ويختلط بعضها ببعض من غير فصل بينها. وشيئًا فشيئًا أخذ المشتغلون بالبلاغة العربية ينحون بها منحى التخصص والاستقلال، كما أخذت مسائل كل فن بلاغيّ تتبلور وتتلاحق واحدة بعد الأخرى. وظل الأمر كذلك حتى جاء عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري «٤٧١ هـ» ووضع نظرية علم المعاني في كتابه «دلائل الإعجاز» ونظرية علم البيان في كتابه «أسرار البلاغة»، كما وضع ابن المعتز من قبله أساس علم البديع فعبد القاهر الجرجاني إذن هو واضع أصول علمي المعاني والبيان ومؤسسهما في العربية، وقد جعل من مباحث كلا العلمين وحدة يمكن النظر فيها نظرة شاملة "(١) .

---

(١) علم المعاني صـ ٢٥ .

وعلم المعاني يشتمل على ثمانية أبواب ، منها : الإيجاز والإطناب والمساواة ، يقول الإمام جلال الدين القزويني : " ثم المقصود من علم المعاني منحصر في ثمانية أبواب: أولها: أحوال الإسناد الخبري. وثانيها: أحوال المسند إليه. وثالثها: أحوال المسند. ورابعها: أحوال متعلقات الفعل. وخامسها: القصر. وسادسها: الإنشاء. وسابعها: الفصل والوصل. وثامنها: الإيجاز والإطناب والمساواة " (١) .

**الفرق بين الإيجاز والإطناب والمساواة** (٢) :

هذا الموضوع قد تناوله علماء البلاغة في كتبهم ، وتناوله أيضا بعض المؤلفين في علوم القرآن ، فهو موضوع مشترك بين علمي : البلاغة ، وعلوم القرآن .

**تعريف الإيجاز** : هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها، وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح ، كقوله تعالى ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ج١ صـ٥٦ .

(٢) يُنظر على سبيل المثال بعض الكتب التي استعنت بها في تعريف هذه الأنواع وبيان الفرق بينها ، من كتب البلاغة : مفتاح العلوم للإمام السكاكي صـ ٢٧٧ وما بعدها ، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للإمام بهاء الدين السبكي ج١ صـ ٥٧٥ وما بعدها ، وعُقُودُ الجُمَانْ في عِلْمِ المَعَانِي وَالْبَيَانْ – وهو نظم لكتاب «تلخيص المفتاح» للخطيب القزويني المتوفى ٧٣٩ هـ – للإمام جلال الدين السيوطي صـ ٦٩ وما بعدها ، وأساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني لأحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي صـ ٢٠٣ وما بعدها ، ومن كتب علوم القرآن : البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ج٣ صـ ٢٢٠ ، والإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ج٣ صـ ١٧٩ ، والأصلان في عوم القرآن للدكتور / محمد عبد المنعم القيعي صـ ٣١٧ وما بعدها .

ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ ( الأعراف : ١٩٩ ) فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها ، وكقوله تعالى ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ ( الأعراف : ٥٤ ) وكقوله عليه الصلاة والسلام «إنّما الأعمال بالنِّيات» (١) ، فاذا لم تف العبارة بالغرض سمى «إخلالًا وحذفاً رديئًا» (٢) .

**تعريف الإطناب** : زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط البلغاء: لفائدة تقويته وتوكيده نحو ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ ( مريم : ٤ ) أي: كبرتُ فاذا لم تكن في الزيادة فائدة، يُسمى «تطويلًا» إن كانت الزيادة في الكلام غير متعينة.ويسمى «حشواً» إن كانت الزيادة في الكلام متعينة لا يفسد بها المعنى (٣) .

**تعريف المساواة** : هي تأديةُ المعنى المراد: بعبارة مساوية له بأن تكون الألفاظ على قدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض (٤) .

وقد اختلف العلماء فيها فمنهم من أدخلها في الإيجاز كابن الأثير وجماعة (٥)

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – باب بدء الوحي – حديث رقم ( ١ ) ج١ صـ٣ .

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للشيخ / أحمد بن إبراهيم الهاشمي صـ١٩٧ .

(٣) السابق صـ٢٠١ .

(٤) السابق صـ٢٠٧ .

(٣) يقول الإمام ابن الأثير : " وأما القسم الثاني من الإيجاز فهو ما لا يحذف منه شيء ، وذلك ضربان : أحدهما : ما ساوى لفظه معناه ، ويسمى التقدير ، والآخر : ما زاد معناه على لفظه ، ويسمى الإيجاز بالقصر" ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج٢ صـ٢٦٠ .

ومنهم من اعتبرها نوعًا بين الإيجاز والإطناب ، لكنهم جعلوها غير محمودة ولا مذمومة كالإمام السكاكي وجماعة ورجحه الإمام القزويني، يقول الإمام السيوطي : " واختلف هل بين الإيجاز والإطناب واسطة وهي المساواة أو لا ، وهي داخلة في قسم الإيجاز ، فالسكاكي وجماعة على الأول ، لكنهم جعلوا المساواة غير محمودة ولا مذمومة ؛ لأنهم فسروها بالمتعارف من كلام أوساط الناس الذين ليسوا في رتبة البلاغة ، وفسروا الإيجاز بأداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف ، والإطناب أداؤه بأكثر منها ؛ لكون المقام خليقا بالبسط ، وابن الأثير وجماعة على الثاني ؛ فقالوا الإيجاز التعبير عن المراد بلفظ غير زائد ، والإطناب بلفظ أزيد ، وقال القزويني: الأقرب أن يقال إن المقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله إما بلفظ مساو للأصل المراد أو ناقص عنه واف أو زائد عليه لفائدة والأول المساواة والثاني الإيجاز والثالث الإطناب "(١) .

يتضح مما سبق أن الأصل في الكلام المساواة ، وهو أن تكون الألفاظ المعبر بها عن المعنى على قدره ومساوية له ، وهذا ينطبق على كلام الناس العادي ، وأنه قد يخرج الكلام عن ذلك بأحد أمرين ، الأول : أن تزيد المعاني عن الألفاظ ، وهذا هو الإيجاز ، الثاني : أن تزيد الألفاظ عن المعاني ، وهذا هو الإطناب ، ويُشترط لكل منهما شرط ، فالإيجاز لابد أن يُوفِّي بالمعاني المراده ، وإلا كان إخلالًا وحذفًا رديئًا ، والإطناب لابد أن يكون لفائدة ، وإلا سُمي تطويلًا أو حشوًا .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج٣ صـ ١٧٩ .

إذن أستطيع القول بأن الإيجاز عكس الإطناب ، والمساواة بينهما .

**أيهما أفضل : الإيجاز أم الإطناب ؟ :**

اختلف العلماء في ذلك بين مرجح لهذا ومرجح لذاك ، ولكل حجته ، لكن الراجح أن ذلك يختلف باختلاف حال المخاطب ، فإذا كان يستوجب الإيجاز فالأفضل له الإيجاز دون الإطناب ، كما قيل : كل لبيب بالإشارة يفهم ، وإن كان العكس فالإطناب أفضل له من الإيجاز ؛ لأنه لا يصل إليه المراد بالإيجاز ، يقول الإمام أبو الهلال العسكري : " إنّ الإيجاز والإطناب يُحتاج إليهما في جميع الكلام وكل نوع منه، ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب فى مكانه فمن أزال التدبير فى ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب فى موضع الإيجاز واستعمل الإيجاز فى موضع الإطناب أخطأ "(١) .

ويقول الشيخ / أحمد المراغي : " ما يراه الأئمة في تفضيل الإيجاز على الإطناب، أو العكس، فمن مفضل يراه كشبيب بن شيبة، إذ يقول: القليل الكافي خير من خير من كثير غير شاف. ويقول آخر: إذا طال الكلام عرضت له أسباب التكلف، ولا خير في شيء يأتي به التكلف. ومن مرجح للإطناب وحجته أن المنطق إنما هو البيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والشفاء لا يقع إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشده إحاطة بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء، أضف إلى ذلك أن الإيجاز للخواص، والإطناب مشترك بين الخاصة والعامة، والغبي

---

(١) الصناعتين : الكتابة والشعر ج١ صـ ١٩٠ .

والفطن. والمختار، أن الحاجة إلى كل ماسة، وأن لكل موضعاً لا يسد عنه فيه سواه، فمن استعمل أحدهما في موضع الآخر، فقد أخطأ. قال جعفر بن يحيى: متى كان الإيجاز أبلغ كان الإكثار وعيا، ومتى كانت الكفاية في موضع الإكثار، كان الإيجاز تقصيرا، يرشد إلى ذلك قول القائل يصف خطباء إياد :

**يَرْمُونَ بِالْخُطَبِ الطِّوَالِ وتَارَةً وَحْيَ الْمَلاحِظِ خَشْيَةَ الرُّقَبَاءِ** (١)

**هل استعمل القرآن الكريم هذه الأساليب ؟**

**أولًا** : **الإيجاز** : لقد اتفق العلماء على استعمال القرآن لهذا الإسلوب بقسميه ( الإيجاز بالقصر – والإيجاز بالحذف ) ، وسيأتي – بإذن الله تعالى – تفصيل لذلك ، وذكر للأمثلة الدالة على وقوعه في القرآن الكريم في المبحث الثاني من هذا الفصل (٢) .

---

( ١ ) علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» صـ ١٩٩ .

والبيت لأبي داود بن حريز ، وهو من بحر ( الكامل ) ، ومعناه : يخطُبون تارةً خُطَباً طِوالاً، إذا كانت حال المخاطبين تقتضي الإِطالة، ويوجزون خطبهم تارةً أخرى إيجازاً يشبه وحْيَ الملاحظ. الوحي: الكلام الخفيُّ السّريع. المُلاَحِظ: جمع "مَلْحَظ" وهو اللَّحْظُ أو موضعه من العين، واللَّحظ هو النظر بطرف العين مما يلي الصُّدغ، ومن المعروف أن الناس قد يتفاهمون عن طريق اللَّحْظ، وإشارته خشية الرقباء ، يُنظر : البيان والتبيين للإمام أبي عثمان الشهير بالجاحظ ج١ صـ ٥٩ ، والعقد الفريد للإمام شهاب الدين بن عبد ربه ج٤ صـ ١٤٦ ، والصناعتين : الكتابة والشعر للإمام أبي الهلال العسكري ج١ صـ ٥٨ ، وزهر الآداب وثمر الألباب للإمام أبي إسحاق القيرواني ج١ صـ ١٤٦ .

( ٢ ) يُنظر صـ ١٦ ، وما بعدها .

**ثانيًا الإطناب** : لقد استعمل القرآن أيضًا هذا الإسلوب بقسميه ( إطناب بالبسط، وإطناب بالزيادة ) وقد ذهب إلى ذلك كثير من العلماء ، فالأول كقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ ( البقرة : ١٦٤ ) ، والثاني كقوله تعالى ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ ( القدر : ٤ ) ، إلا أن الغالب على القرآن استعمال الإيجاز دون الإطناب ، فاستعماله له قليل [١] .

إلا أن هناك رأيًا آخرَ جديراً بالاحترام والتقدير ، وهو للعلامة الدكتور / محمد عبد الله دراز ، حيث يرى أن القرآن إيجاز كله ، وأن المواضع التي ذكر العلماء أن فيها إطناباً ليست كذلك ، وأنه لا زيادة في القرآن إلا لفائدة قد تغيب عن البعض ، فالواجب علينا التفكر حتى نهتدي للمعاني التي أراد الله تعالى إخبارنا بها ، وقد نقل هذا الرأي وتابعه فيه الشيخ الزرقاني ، يقول الدكتور / محمد عبد الله دراز : " القرآن إيجاز كله، سواء مواضع إجماله ومواضع تفصيله: قلنا: إن القرآن الكريم يستثمر دائمًا برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني. أجل؛ تلك ظاهرة بارزة فيه كله؛ يستوي فيها مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام

---

( ١ ) يُنظر الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ج٣ صـ ٢١٦ وما بعدها ، والبلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حبنكة ج٢ صـ ٦٢ ، وما بعدها .

الإيجاز، ومواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب. ولذلك نسميه إيجازًا كله؛ لأننا نراه في كلا المقامين لا يجوز سبيل القصد، ولا يميل إلى الإسراف ميلًا ما، ونرى أن مراميه في كلا المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر والحلى بأقل من ألفاظه ولا بما يساويها. فليس فيه كلمة إلا هي مفتاح لفائدة جليلة، وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى. ليس في القرآن كلمة مقحمة ولا حرف زائد زيادة معنوية. دع عنك قول الذي يقول في بعض الكلمات القرآنية إنها "مقحَمة" وفي بعض حروفه إنها "زائدة" زيادة معنوية. ودع عنك قول الذي يستخف كلمة "التأكيد" فيرمي بها في كل موطن يظن فيه الزيادة، لا يبالي أن تكون تلك الزيادة فيها معنى المزيد عليه فتصلح لتأكيده أو لا تكون، ولا يبالي أن يكون بالموضع حاجة إلى هذا التأكيد أو لا حاجة له به. أجل، دع عنك هذا وذاك، فإن الحكم في القرآن بهذا الضرب من الزيادة أو شبهها إنما هو ضرب من الجهل -مستورًا أو مكشوفًا- بدقة الميزان الذي وضع عليه أسلوب القرآن. وخذ نفسك أنت بالغوص في طلب أسراره البيانية على ضوء هذا المصباح. فإن عمي عليك وجه الحكمة في كلمة منه أو حرف فإياك أن تعجل كما يعجل هؤلاء الظانون؛ ولكن قل قولًا سديدًا هو أدنى إلى الأمانة والإنصاف. قل: "الله أعلم بأسرار كلامه، ولا علم لنا إلا بتعليمه". ثم إياك أن تركن إلى راحة اليأس فتقعد عن استجلاء تلك الأسرار قائلًا: أين أنا من فلان وفلان؟ .. كلا، فرب صغير مفضول قد فطن إلى ما لم يفطن له الكبير الفاضل. ألا ترى إلى قصة ابن عمر في الأحجية المشهور (١)؟ فجِدَّ في الطلب وقل: رب زدني

(١) يقصد بها ما أخرجه الإمام البخاري قال: حدثنا إِسْمَاعِيلُ قال حدثني مَالِكٌ عن عبد اللهِ بن =

علمًا، فعسى الله أن يفتح لك بابًا من الفهم تكشف به شيئًا مما عمي على غيرك. والله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور "(١) .

**ثالثاً : المســـاواة :**

ذهب بعض العلماء إلى وقوع هذا النوع في القرآن الكريم ، بينما ذهب آخرون إلى عدم وقوعه واستدل أصحاب الفريق الأول على وقوعه ببعض الأمثلة ، منها :

١ – قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ ( فاطر : ٤٣ ) .

٢ – قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ ( الأنعام : ٦٨ ) .

حيث يرى أصحاب هذا الرأي أن الألفاظ هنا على قدر المعنى ، وهذان

---

= دِينَارٍ عن عبد اللهَّ بن عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صلى الله عليه وسلم قال : " إِنَّ من الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ حَدِّثُونِي ما هِيَ ؟ فَوَقَعَ الناس في شَجَرِ الْبَادِيَةِ وَوَقَعَ في نَفْسِي أنها النَّخْلَةُ قال عبد اللهَّ : فَاسْتَحْيَيْتُ فَقَالُوا : يا رَسُولَ اللهَّ أَخْبِرْنَا بها فقال رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم : هِيَ النَّخْلَةُ قال عبد اللهَّ : فَحَدَّثْتُ أبي بِمَا وَقَعَ في نَفْسِي فقال : لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إلي من أَنْ يَكُونَ لي كَذَا وَكَذَا " ، يُنظر النبأ العظيم للدكتور / محمد عبد الله دراز هامش صـ ١٦٥ .

والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب العلم – باب الحياء في العلم – حديث رقم ( ١٣١ ) ج١ صـ ١٦١ .

والإمام مسلم في صحيحه – كتاب صفة القيامة والجنة والنار – باب مثل المؤمن مثل النخلة – حديث رقم ( ٢٨١١ ) ج٤ صـ ٢١٦٦.

(١) النبأ العظيم للدكتور / محمد عبد الله دراز صـ ١٦٢ وما بعدها ، ومناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني ج٢ صـ ٣٢٦ ، وما بعدها .

المثالان محل إجماع بين القدامى والمحدثين ، إلا أن بعض المحدثين قد ذكر أمثلة أخرى للمساواة غير هذين المثالين (١) .

أما أصحاب الرأي الثاني فهم على ثلاثة أقسام :

١ – قسم يرى أن المساواة غير موجودة أصلًا في الكلام ، كابن الأثير وجماعة ، وقد سبق بيان ذلك (٢) .

٢ – قسم يرى أن هذا النوع موجود في كلام الناس غير موجود في القرآن الكريم ، منهم : الإمام السيوطي ، والدكتور / محمد القيعي (٣) .

٣ – قسم يرى أن القرآن إيجاز كله ، ولا وجود لكل من المساواة و الإطناب فيه ، منهم: الدكتور/ محمد عبد الله دراز، والشيخ الزرقاني، وقد سبق بيان ذلك (٤) .

وقد قام أصحاب هذا الرأي بمناقشة الأمثلة التي ذكرها أصحاب الرأي

---

(١) يُنظر الإيضاح للإمام جلال الدين القزويني ج٣ صـ ١٨٠ ، علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» للشيخ / أحمد المراغي صـ ١٩٠ ، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي ج٢ صـ ٣٣١ ، وأساليب بلاغية لأحمد مطلوب الرفاعي صـ ٢٤٦ ، وعلم المعاني للدكتور / عبد العزيز عتيق صـ ٢٠٣ ، وجواهر البلاغة للشيخ أحمد الهاشمي صـ ٢٠٧ ، والمنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني ج٢ صـ ١٣٠ .

(٢) يُنظر صـ ٨ ، ٩ من هذا المبحث .

(٣) يُنظر : الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ج٣ ص ١٨٠ ، والأصلان في علوم القرآن للدكتور / محمد القيعي صـ ٣١٨ .

(٤) يُنظر صـ ١١ ، ١٢ ، ١٣ من هذا المبحث .

الأول، وبيان أنها ليست من قبيل المساواة سواء في ذلك ما ذكرته من أمثلة وما لم أذكره [١] .

وأرى أن الرأي الثاني هو الصواب ؛ لأن العلماء - كما ذكرت - يرون أن المساواة غير محمودة ولا مذمومة ، وكلام الله تعالى لابد أن يدخل تحت القسم المحمود ، كما أن الأدلة على وقوعها في القرآن لم تسلم من المناقشة ، وإذا بطل الدليل بطل المدلول ، والأجدر التفكر في مثل هذه الأمثلة قبل الاستدلال بها ، وإمعان النظر فيها ، فقد تتضح حقيقتها لبعض دون بعض ، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء .

□

(١) يُنظر على سبيل المثال : الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ج٣ صـ ١٨٠ وما بعدها ، والأصلان في علوم القرآن للدكتور / محمد القيعي صـ ٣١٨ وما بعدها ، والبلاغة العربية لعبد الرحمن حسن حبنكة ج٢ صـ ٢٤ .

## المبحث الثاني

## أقسام الإيجاز وتعريف كل قسم

ينقسم الإيجاز إلى قسمين : إيجاز بالقصر ، وإيجاز بالحذف ، يقول الإمام بهاء الدين السبكي : " الإيجاز ضربان: إيجاز القصر، وإيجاز الحذف. والفرق بينهما أن الكلام القليل إن كان بعضًا من كلام أطول منه، فهو إيجاز حذف، وإن كان كلامًا يعطى معنى أطول منه فهو إيجاز قصر "(١) .

ولمزيد من الإيضاح سأتحدث عن كلا النوعين معرفًا له وموضحًا بمثال من القرآن الكريم .

**أولاً** : **إيجاز القصر**: هو: تقليل الألفاظ وتكثير المعاني (٢)، أو هو: ما زاد معناه على لفظه (٣) ، أو هو : أن تؤدى المعاني الكثيرة بعبارة قصيرة من غير حذف (٤) .

وهذه التعريفات كلها بمعنى واحد ، وتدل على أن اللفظ هنا يكون أقل من المعنى ، أو بعبارة أدق يُعبر به عن معان كثيرة ، ولكن يُشترط أن يكون ذلك بغير حذف ، احترازًا عن النوع الثاني ، وهو إيجاز الحذف .

---

(١) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ج١ صـ ٥٨٦ ، ويُنظر البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ج٣ صـ ٢٢٠ ، ٢٢١ ، والإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ج٣ صـ ١٣١ .

(٢) أساليب بلاغية لأحمد مطلوب الرفاعي صـ ٢٠٦ .

(٣) علم المعاني للدكتور / عبد العزيز عتيق صـ ١٧٦ .

(٤) المنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني ج٢ صـ ١٣١ .

وهذا النوع هو مطمح البلغاء ، وغاية الفصحاء ، وقد أعطاه الله تعالى رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، فقد أخبر بذلك ، أخرج الإمام البخاري قال : حدثنا يحيى بن بُكَيْرٍ حدثنا اللَّيْثُ عن عُقَيْلٍ عن ابن شِهَابٍ عن سَعِيدِ بن الْمُسَيَّبِ عن أبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : " بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ فَبَيْنَا أنا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأرض فَوُضِعَتْ في يَدِي قال أبو هُرَيْرَةَ : وقد ذَهَبَ رسول اللَّهِ ﷺ وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَهَا " (١) .

**مثال على هذا النوع :**

مثل له العلماء بقول الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ (البقرة : ١٧٩).
يقول الدكتور / عبد الرحمن حسن حبنكة في شرح هذه الآية وبيان اشتمالها على معان كثيرة : " إنّ كلمة "القِصَاص" كلمة عامّة تشمل القتل بالقتل، والقطع بالقطع، والجروح بالجروح، وتدخلُ فيها كُلُّ تفصيلات الجنايات ممّا يتعلّق بذوات الأحياء من الناس، أنفسِهِمْ فما دون ذلك ، وإنّ كلمة "حياة" تشمل حياة النفس، وحياة كلّ بعْضٍ من أبعاض الجسد الذي إذا انقطع مات، فيكون حاله كحال كلّ الجسد إذا ماتت النفس ، وتنكير لفظ "حياة" يدلُّ على أصل بقاء الحياة للنفس، ويدُلُّ على نوع نفيس من أنواع الحياة يتَمنّاه الأحياء، وهو نوع الحياة الآمنة، التي لا خوف فيها ولا قلَقَ، والذي يتحقّق بتقرير حكم القصاص وتنفيذه، وذلك لأنّ من

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الجهاد والسير – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر – حديث رقم ( ٢٨١٥ ) ج٣ صـ ١٠٨٧ .

تُحَدِّثُه نفسُهُ بالعدوان على فردٍ أو أكثر من أفراد المجتمع في كلّ النفس، أو في بعض أعضاء الجسد، فإنَّ خوفه من القصاص يروعُه فيكُفُّ عن ارتكاب الجريمة، وبهذا تَقِلُّ جرائم القتل والقطع والجروح في المجتمع إلى أدنى الحدود، فيعيش أفراد المجتمع مطمئنينَ حياةً آمِنة (١) .

ويظهر ذلك جليًا عند مقارنتها بقول العرب : " القتل أنفى للقتل " ، وهو مما بلغ شأنًا كبيرًا عندهم في البلاغة والفصاحة ، إلا أنه لا يُقارن بقول الله عزوجل، وقد بين العلماء أوجهًا تفوقت به الآية عنه ، منها (٢) :

١ - إنّ حروف العبارة القرآنية: ﴿ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ أقل من عبارة العرب: "الْقَتْلُ أنْفَى للقتل".

٢ - العبارة القرآنية خالية من عيب التكرار، بخلاف الأخرى.

---

(١) البلاغة العربية ج٢ صـ ٣٥ .

(٢) يُنظر : البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ج٣ صـ ٢٢٢ وما بعدها ، والإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ج ٣ صـ ١٨١ وما بعدها ، والإيضاح في علوم البلاغة للإمام جلال الدين القزويني ج٣ صـ ١٨١ وما بعدها ، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للإمام بهاء الدين السبكي ج١ صـ ٥٨٦ وما بعدها ، والبلاغة العربية لعبد الرحمن حسن حبنكة ج٢ صـ ٣٥ ، وأساليب بلاغية لأحمد مطلوب الرفاعي صـ ٢٠٩ وما بعدها ، وعلم المعاني للدكتور / عبد العزيز عتيق صـ ١٧٦ وما بعدها ، وعلوم البلاغة < البيان والمعاني والبديع > للشيخ / أحمد مصطفى المراغي صـ ١٨٩ وما بعدها ، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي ج٢ صـ ٣٣٢ وما بعدها ، والمنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني ج٢ صـ ١٣٢ وما بعدها .

٣ - العبارة القرآنية نصَّتْ على ثبوت الحياة بتقرير حكم القصاص، بخلاف عبارة العرب .

٤ – الطبع أقبل للفظ الحياة من لفظ القتل .

٥ – الإثبات أول ، والنفي ثان عنه ، والإثبات أشرف .

٦ – الآية أثبتت الحياة ، ونفي القتل لا يستلزم الحياة .

٧ – في العبارة القرآنية من البديع "الطباق" بين لفظتي: القصاص والحياة.

٨ – صيغة أفعل التفضيل تقتضي في الغالب الاشتراك ، فيكون ترك القصاص نافيًا للقتل كالقصاص ، لكنه في القصاص أكثر نفيًا ، بخلاف الآية فهي سالمة من ذلك .

٩ - في العبارة القرآنية سَلاَسة، لاشتمالها على حروف متلائمة سهلة التتابع في النطق، أمّا عبارة "العرب" ففيها تكرير حرف القاف المتحرِّك بين ساكنين، وفي هذا ثقل على الناطق.

١٠ - العبارة القرآنية صريحة في دلالتها على معانيها، مستغنية بكلماتها عن تقدير محاذيف، بخلاف عبارة "العرب" فهي تحتاج إلى عدّة تقديراتٍ حتى يَستقيم معناها، إذْ لا بُدَّ فيها من ثلاث تقديرات، وهي كما يلي: "القتلُ" قصَاصاً "أنْفَى من تركه "لِلقَتْلِ" عمْداً وعدواناً.

١١ - العبارة القرآنية خالية من عيب إيهام التناقض، بخلاف عبارة العرب فظاهرها التناقض ، ولا يستقيم المعنى إلا بملاحظة المقدرات المحذوفة من اللفظ .

١٢ – امتازت العبارة القرآنية بدلالتها على الجناية في النفس وما دونها ، وقيدته

بكونه عقوبة لأمر سابق ، ودلت على مبدأ العدل ، بخلاف عبارة العرب ، فقد ذكرت القتل فقط ، ولم تقيده بكونه عقوبة ، ولم تشر إلى مبدأ العدل .

١٣ – ليس كل القتل نافيًا للقتل ، فمثلًا القتل في الردة والزنا لا ينفي القتل ، وإنما ينفيه قتل خاص ، وهو قتل القصاص ، الذي صرحت به الآية ، دون عبارة العرب .

**ثانيًا** : **إيجاز الحذف** :

يحدثنا الإمام ابن الأثير عن هذا النوع فيقول : " أما الإيجاز بالحذف فإنه عجيب الأمر، شبيه بالسحر، وذاك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون مبينا إذا لم تبين، وهذه جملة تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر (١) .

وقد عرفه العلماء بتعريفات متعددة كلها تؤدي نفس المعنى ، فعرفه بعضهم بأنه : ما يحذف منه كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعيّن المحذوف ، وزاد بعضهم : ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه ، وعرفه آخرون بأنه : الإِيجاز الذي يكون قِصَرُ الكلام فيه بسبب استخدام حذف بعض الكلام اكتفاءً بدلالة القرائِن على ما حُذف ، وعرفه آخرون بأنه : ما قصد فيه إلى إكثار المعنى، مع حذف شيء من التركيب، ودلالة القرينة عليه (٢) .

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج٢ صـ ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) يُنظر : أساليب بلاغية لأحمد مطلوب الرفاعي صـ ٢١٢ ، وعلم المعاني للدكتور / عبد العزيز =

يُلاحظ مما سبق من تعريفات أنها تؤدي إلى معنى واحد ، وأستطيع من خلالها استنباط الشروط الواجب توافرها حتى يطلق على إسلوب ما إنه إيجاز بالحذف ، فالكل متفق على أنه ما زادت معانيه عن ألفاظه ، وإلى هنا يتفق مع سابقه ، وهو إيجاز القصر ، لكنهما يفترقان في اشتماله على محذوف مقدر بخلاف إيجاز القصر ، فلا محذوف فيه ، أما عن شروطه فيلخصها الإمام ابن الأثير فيما يلي :

١ – أن تدل قرينة على المحذوف ، وإلا يكون لغوًا من الحديث .

٢ – أن المحذوف إذا أظهر تحول الكلام من الطلاوة والحسن إلى شئ غث قبيح .

٣ – أن الأحسن والأفضل أن يظهر المحذوف بالنظر إلى تمام المعنى لا الإعراب كقولك أهلًا وسهلًا ، فإن نصبهما يدل على ناصب محذوف (١) .

وسأترك الأمثلة على هذا النوع إلى المبحث الآتي ، حيث سأتناول فيه بإذن الله تعالى أقسام هذا النوع .

---

= عتيق صـ ١٧٨ ، والبلاغة العربية لعبد الرحمن حسن حبنكة ج٢ صـ ٢٩ ، والمنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني ج٢ صـ ١٣٣ .

(١) يُنظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج٢ صـ ٧٧ .

## المبحث الثالث

## أقسام الإيجاز بالحذف والفرق بينها

اختلف العلماء في أقسام الحذف ، على مذاهب متنوعة :

**المذهب الأول** [١] : يرى أصحابه أنه ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول: حذف المفردات، وقد قسمه الإمام ابن الأثير أربعة عشر نوعاً:

١ – حذف الفاعل والاكتفاء في الدلالة عليه بذكر الفعل .

٢ – حذف الفعل وجوابه .

٣ – حذف المفعول به .

٤ – حذف المضاف والمضاف إليه ، وإقامة كل واحد منهما مقام الآخر .

٥ – حذف الموصوف والصفة ، وإقامة كل منهما مقام الآخر .

٦ – وهو حذف الشرط وجوابه .

٧ – حذف القسم وجوابه .

٨ – حذف " لو " وجوابها .

٩ – حذف جواب لولا .

١٠ – حذف جواب " لما " وجواب " أما " .

١١ – حذف جواب " إذا " .

---

(١) يُنظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر للإمام ابن الأثير ج٢ صـ ٢٢١ وما بعدها ، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي ج٢ صـ ٣٣٥ وما بعدها .

١٢ - حذف المبتدأ والخبر .

١٣- حذف " لا " من الكلام وهي مرادة .

١٤- حذف الواو من الكلام وإثباتها [١] .

والعلماء في ذلك بين مكثر ومقل ومقتصر على ما ذكر من الأنواع .

القسم الثاني : حذف الجمل ، وقد قسموه إلى نوعيين : أحدهما: حذف الجمل المفيدة التي تستقل بنفسها كلاماً ، وثانيها : حذف الجمل غير المفيدة ، يقول الإمام ابن الأثير : " فأما القسم الأول، وهو الذي تحذف منه الجمل، فإنه ينقسم إلى قسمين أيضا: أحدهما: حذف الجمل المفيدة التي تستقل بنفسها كلاما، وهذا أحسن المحذوفات جميعها، وأدلها على الاختصار ولا تكاد تجده إلا في كتاب الله تعالى. والقسم الآخر: حذف الجمل غير المفيدة، وقد وردا ههنا مختلطين [٢] .

**المذهب الثاني [٣]** : يرى أصحابه أنه ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : حذف جزء جمله وجملة ، القسم الثاني : حذف أكثر من جملة .

وكل قسم من هذه الأقسام يندرج تحته أنواع ، ويُلاحظ أنه كسابقه ، فالأول أدرج الجملة مع أكثر من جملة ، أما هنا فأدرجها مع المفردات ، وسماها جزء جملة .

---

( ١ ) يُنظر السابق ج٢ صـ ٢٣٢ وما بعدها ، وقد ذكر أمثلة كثيرة على كل نوع من هذه الأنواع ، وآثرت عدم ذكرها خشية الإطالة .

( ٢ ) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج٢ صـ ٢٢١ .

( ٣ ) يُنظر الإيضاح في علوم البلاغة للإمام جلال الدين القزويني ج٣ صـ ١٨٤ .

**المذهب الثالث** [١] : يرى أصحابه أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : حذف كلمة .

القسم الثاني : حذف جملة .

القسم الثالث : حذف أكثر من جملة .

وكل قسم من هذه الأقسام يندرج تحته أنواع ، ويُلاحظ أنه كسابقيه ، لكنه فصل الأقسام ولم يخلطها ببعض .

**المذهب الرابع** [٢] : يرى أصحابه أنه ينقسم إلى أربعة أقسام :

١ – ما يسمى بالاقتطاع : وهو حذف بعض حروف الكلمة ، ويدخل في هذا النوع حذف همزة "أنا" في قوله: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي ﴾ ( الكهف : ٣٨ ) ، إذ الأصل "لكن أنا" حذفت همزة "أنا" تخفيفا وأدغمت النون في النون .

٢ – ما يسمى بالاكتفاء : وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة ، ويختص غالبا بالارتباط العطفي كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ ﴾( النحل : ٨١ ) ، أي والبرد .

٣ – ما يسمى بالاحتباك : وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن

---

( ١ ) يُنظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للإمام بهاء الدين السبكي ج١ صـ ٥٩١ وما بعدها ، وعلوم البلاغة < البيان والمعاني والبديع > للشيخ / أحمد مصطفى المراغي صـ ١٨٣ وما بعدها ، وعلم المعاني للدكتور / عبد العزيز عتيق صـ ١٧٩ وما بعدها .

( ٤ ) يُنظر الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ج٣ صـ ١٩٠ وما بعدها .

الثاني ما أثبت نظيره في الأول ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ ﴾ ( النمل : ١٢ ) ، التقدير تدخل غير بيضاء وأخرجها تخرج بيضاء فحذف من الأول "غير بيضاء" ومن الثاني "وأخرجها"

٤ – ما يسمى بالاختزال : وهو ما ليس واحدا مما سبق ، وهو أقسام لأن المحذوف إما كلمة اسم أو فعل أو حرف أو أكثر.

ويلاحظ أن هذا التقسيم كسابقه لأن أقسام القسم الرابع منه ، هي الأقسام التي اعتمدها أصحاب المذاهب الثلاث الأول ، كما أن الأقسام الثلاثة الأول لأصحاب هذا المذهب يمكن أن تندرج تحت القسم الرابع .

**المذهب الخامس** [١] : وافق أصحابه أصحاب المذهب الرابع في تقسيمهم إلا أنهم أضافوا قسمًا آخر ، وهو التّضمين ، وعرفوه بأنه : تضمين كلمة معنى كلمة أُخْرى، وجَعْلُ الكلام بعدها مَبْنيّاً على الكلمة غير المذكورة، كالتعدية بالحرف المناسب لمعناها، فتكون الجملة بهذا التضمين بقوّة جملتين، دلَّ على إحداهما الكلمة المذكورة التي حُذِف ما يَتَعَلَّقُ بها، ويُقَدَّرُ معناه ذهْناً، ودَلَّ على الأَخْرَى الكلمةُ التي جاءتْ بعدها المتعلّقةُ بالكلمةِ المحذوفةِ المُلاحَظِ مَعْنَاها ذهْناً. ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ ﴾ [ الإنسان : ٥ – ٦ ] .

---

( ١ ) يُنظر البلاغة العربية لعبد الرحمن حسن حبنكة ج٢ صـ ٤٩ وما بعدها .

إنّ فعل: "يَشْرَبُ" يُعَدَّى لغةً بحرف "مِنْ" لكنّه جاء في النّصّ هنا متعدّياً بحرف " الباء " فَلِماذا ؟ ، بالتأمُّل يظهر لنا أنّ فِعْلَ " يشـرب " ضُمِّنَ معنَى فِعْلِ : " يتلَذّذ " أو " يَرْتَوِي " الذي يُعَدَّى بحرف " الباء " فَعُدّي تعديته ، والتقدير : عيناً يَشْرَبُ منها مُتَلَذّذاً بها عبادُ الله، فأغنى "يَشْرَبُ بها" عن عبارة: يشربُ منها ويتلّذذ بها يشرب عباد الله . الفعلُ المذكور دلَّ على معناه بصريح العبارة، وحرف الجرّ "الباء" دلَّ على الفعل المحذوف الذي ضُمِّنَ الْفِعْلُ المذكور معناه، فأغنت جُمْلةٌ عن جُمْلَتَيْن، وعبارةٌ عن عبارتين، وهذا من روائع الإِيجار في القرآن المجيد .

ويُلاحظ أيضا أنه كسابقه والقسم الذي أضافوه يمكن أن يندرج تحت القسم الرابع ، وهو الاختزال .

**الخلاصة : أن الإيجاز بالحذف ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسة :**

١ – حذف جزء جملة .

٢ – حذف جملة .

٣ – حذف أكثر من جملة .

وكل قسم من هذه الأقسام يندرج تحته أنواع متعددة ، وقد اختلفت فيها نظرة العلماء بين مقل ومكثر، إلا أنها كلها تندرج تحت هذه الأقسام الثلاثة السابقة .

□

# المبحث الرابع

# تعـريف الاكتـفاء .

**أولاً** : **تعريف الاكتفاء لغة** :

الاكتفاء مصدر من الفعل اكتفى الخماسي على وزن افتعل ، وأصله من كفي ، يقول الإمام أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري : " كفي : قال الليث : كَفَى يَكْفِي كِفَايةً إذا قامَ بالأمْرِ ، واسْتَكْفَيْتُه أَمْراً فكفَانِيهِ ، ويقال : كفاكَ هذا الأمرُ أي حَسْبُكَ ، وكفاكَ هذا الشيءُ ، وتقولُ : رأيْتُ رَجُلاً كافِيَكَ مِنْ رَجُلٍ ، ورأيت رَجُلَيْنِ كافِيَيْكَ مِنْ رجُلَيْنِ ، ورأيتُ رِجَالاً كافِيكَ من رِجَالٍ ، معناهُ : كفاكَ به رجُلاً . وقال الزجاجُ في قول الله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا ﴾ ( النساء : ٤٥ ) وما أَشْبَهَه في القرآن ، معنى البَاءِ : التوكيد ، والمعْنَى : كَفَى اللهُ ، إلاَّ أَنَّ البَاءَ دَخَلَتْ في اسْمِ الفاعل ، لأنَّ معنى الكلامِ الأمْرُ ، المعنَى : اكْتفَوا بالله وَلِياً ، قال : وَوَلِيّاً ، مَنْصُوبٌ على الحَالِ ، وقِيلَ على التَّمْييز . وقال في قوله : ﴿ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ ( فصلت : ٥٣ ) معناهُ : أو لَمْ يَكْفِ ربَّكَ ، أولَمْ تَكْفِهِمُ شَهادَةُ رَبِّكَ ، ومعنَى الكِفَايَةِ هاهُنَا : أنَّه قد بَيَّنَ لهم ما فيه كفايَةٌ في الدّلالةِ على توحيده "(١) .

يتضح مما سبق أن الاكتفاء في اللغة يدور حول الاقتصار والاستغناء بشئ عن شئ أو عن أشياء أخرى ، وهذا المعنى دل عليه أصل اللغة والاستعمال القرآني

---

(١) تهذيب اللغة ج١٠ صـ ٢٠٩ ، ويُنظر العين للإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي ج٥ صـ ٤١٣ ، ولسان العرب للإمام ابن منظور ج١٥ صـ ٢٢٦ .

لهذه المادة .

**تعريف الاكتفاء في الاصطلاح** :

اختلف العلماء فيه على عدة مذاهب :

**المذهب الأول** : يتوسع في تعريف الاكتفاء ؛ حيث يرى أنه نوع من الإيجاز ، وهو ما يطلق عليه إيجاز الحذف ، وقد سبق الحديث عنه [١] ، يقول الإمام ابن رشيق الأزدي : " الإيجاز عند الرماني على ضربين: مطابق لفظه لمعناه: لا يزيد عليه، ولا ينقص عنه، كقولك: " سل أهل القرية " ............ فأما الضرب الأول مما ذكر أبو الحسن فهم يسمونه المساواة " [٢] .

فهو يرى أن الإيجاز قسمان : الأول: المساواة ، أما الثاني فقد تحدث عنه قائلا : " والضرب الثاني مما ذكر الرماني وهو قول الله عز وجل " واسأل القرية " يسمونه الاكتفاء، وهو داخل في باب المجاز؛ وفي الشعر القديم والمحدث منه كثير، يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي على الذاهب: من ذلك قول الله عز وجل: " ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى " ( الرعد : ٣١ ) ، كأنه قال: لكان هذا القرآن. ومثله قولهم: لو رأيت علياً بين الصفين، أي: لرأيت أمرا عظيماً، وإنما كان هذا معدوداً من أنواع البلاغة لأن نفس السامع تتسع في الظن

---

( ١ ) يُنظر المبحث الثاني من هذا الفصل صـ ١٩ ، ٢٠ .

( ٢ ) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ج١ صـ ٢٥٠ ، ويُنظر علم المعاني للدكتور / عبد العزيز عتيق ج ١ صـ ١٧٥ .

والحساب، وكل معلوم فهو هين؛ لكونه محصوراً "(١) .

**المذهب الثاني** : يتوسع أيضًا في تعريف الاكتفاء ، حيث يرى أنه نوع من أنواع الإيجاز بالحذف ، وهو ما كانت دلالته على المحذوف دلالة لفظية ، لا عقلية ، فإذا كانت الدلالة لفظية ، صدق عليه أنه اكتفاء وإيجاز بالحذف ، وإن كانت الدلالة عقلية ، كان إيجازا بالحذف فقط ، يقول الإمام شمس الدين النواجي : " الاكتفاء نوع من الإيجاز لأن التحقيق في تعريف الإيجاز أن يقال هو أن يحذف بعض الكلام ويدل بدلالة أما لفظية نحو: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ ( الكهف : ٧٩ ) ، أي صالحة بدليل (أن أعيبها) وإن قري كذلك وأن يعيبها ألا يخرجها عن كونها سفينة فلا فائدة حينئذ ، أو عقلية نحو: (وأسْألِ القَرْيَةَ) أي أهل القرية لامتناع توجه السؤال لها عقلاً . والاكتفاء ما دل عليه بدلالة لفظية كما تقدم. فهو أخص منه ومستلزم فيلزم من كون هذه الآية الشريفة مشتملة على الاكتفاء اشتمالها على الإيجاز "(٢) .

**المذهب الثالث:** قصر معنى الاكتفاء على لون معين من ألوان الإيجاز بالحذف، حيث يرى أصحابه أنه حذف أحد شيئين بينهما تلازم وارتباط اكتفاء بالمذكور عن المحذوف ، يقول الإمام الزركشي في حديثه عن أنواع الإيجاز بالحذف : " الثاني : الاكتفاء وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفى بأحدهما عن

---

(١) السابق ج١ صـ ٢٥١ ، ويُنظر علم المعاني للدكتور / عبد العزيز عتيق ج١ صـ ١٧٥ .

(٢) الشفاء في بديع الاكتفاء صـ ٣١ .

الآخر ويخص بالارتباط العطفي غالبا فإن الارتباط خمسة أنواع وجودي ولزومي وخبري وجوابي وعطفي. ثم ليس المراد الاكتفاء بأحدهما كيف اتفق بل لأن فيه نكتة تقتضي الاقتصار عليه "(١).

يتضح مما سبق أن الفريقين : الأول ، والثاني قد توسعوا في تعريف الاكتفاء ، حيث أطلقه الفريق الأول على كل الإيجاز بالحذف بينما قصره الثاني على ما كانت قرينته لفظية ، ولعلهم في ذلك قد نظروا إلى تعريف الاكتفاء في اللغة ، حيث إن في الإيجاز بالحذف معنى الاكتفاء لأنه يُكتفى بالمذكور عن المحذوف .

بينما الفريق الثالث قصره على نوع من أنواع الإيجاز بالحذف ، وقد مر سابقاً في المبحث الثالث بيان أقسام الإيجاز بالحذف ، واختلاف العلماء فيها ، وكيف أنهم جعلوا لكل قسم أنواعاً ، وكل نوع مختلف عن غيره ، ومباين له ، والاكتفاء نوع من هذه الأنواع .

إذن أستطيع القول بأن المذهب الثالث في تعريف الاكتفاء هو المذهب الراجح .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج٣ صـ ١١٨ ، ويُنظر الإتقان في علوم القرآن ج٣ صـ ١٩٣ ، والبلاغة العربية لعبد الرحمن حسن حبنكة ج٢ صـ ٤٨ .

# الفصل الثاني

# الدراسة التطبيقية

ويحتوي على أربعة مباحث

**المبحث الأول: أمثلة لبعض مواضع الاكتفاء في سورة البقرة ، وبيان السر فيها .**

**المبحث الثاني : أمثلة لبعض مواضع الاكتفاء من أول سورة آل عمران إلى آخر سورة الأنعام ، وبيان السر فيها .**

**المبحث الثالث : مثالان لموضعين من مواضع الاكتفاء من أول سورة الأعراف إلى آخر سورة العنكبوت ، وبيان السر فيهما .**

**المبحث الرابع : مثالان لموضعين من مواضع الاكتفاء من أول سورة الروم إلى آخر سورة الناس ، وبيان السر فيهما .**

□

## المبحـث الأول

## أمثلة لبعض مواضع الاكتفاء في سورة البقرة ، وبيان السر فيها

المثال الأول : قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة : ٢)

ذكر بعض العلماء أن في الآية اكتفاءً ؛ حيث كان مقتضى الكلام أن يقول الله تعالى هدى للمتقين ولغير المتقين ، فاكتفى بالمتقين عن غيرهم ، بدليل قوله تعالى في موضع آخر ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ ( البقرة : ١٨٥ ) ، و ( آل عمران : ٤ ) والسر في ذلك أن المتقين هم الذين ينتفعون بهداية القرآن دون سواهم .

بينما يرى آخرون أن الآية ليس فيها اكتفاء ، وأن الله تعالى أراد بالهداية هنا هداية التوفيق ، وأن الآية تدل بمفهوم المخالفة على أن غير المتقين لا يهتدون بالقرآن (١) .

تعليق وترجيح :

قبل أن أبدأ في ترجيح أحد الرأيين على الآخر يجب علي أولاً أن أبين أنواع الهداية ، وقد قسمها العلماء إلى قسمين :

الأول : هداية الإيضاح والبيان، وهي مهمة جميع الرسل إلى من أُرسلوا لهم،

---

(١) يُنظر التفسير البسيط للإمام الواحدي ج٢ صـ ٥٤ ، ٥٥ ، وتفسير البغوي ج١ صـ ٥٩ ، وزاد المسير للإمام ابن الجوزي ج ١ صـ ٢٧ ، وتفسير الرازي ج٢ صـ ٢٦٨ ، وتفسير النيسابوري ج١ صـ ١٣٩ ، وتفسير القاسمي ج١ صـ ٢٤٣، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج١ صـ ١٤ .

ويُطلق على هذا النوع الهداية العامة ، والآيات الدالة عليها من القرآن كثيرة ، منها : قوله تعالى ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾ ( البقرة : ١٨٥ ) ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ ( فصلت : ١٧ ) .

الثاني : هداية التوفيق والمعونة ، وهي خاصة بمن يوفقه الله تعالى إلى اتباع ما جاءهم به الرسل والإيمان بهم ، ويُطلق على هذا النوع الهداية الخاصة ، والآيات الدالة عليها كثيرة ، منها : قوله تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ ( البقرة : ٢١٣ ) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ ﴾ ( فصلت : ٤٤ ) (١) .

---

( ١ ) يُنظر فتح القدير للإمام الشوكاني ج١ صـ ٣٨ ، وتفسير الشيخ الشعراوي ج١ صـ ١١٩ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ الشنقيطي ج١ صـ ١٠ ، وتفسير السعدي ج١ صـ ٤٠ .

يتضح مما سبق أن النوع الأول من أنواع الهداية يشترك فيه الناس جميعاً أما النوع الثاني فإنه خاص بالمؤمنين ؛ والحق أن الآية تحتمل المعنيين فيمكن حملها على الهداية العامة ويكون في الكلام اكتفاء ، وقد آثر سبحانه وتعالى ذكر المتقين لأنهم الذين ينتفعون بهدايات القرآن دون سواهم ، وتكون الآيات بعدها التي تصفهم ببعض الصفات بياناً لسبب اختصاصهم بالهداية ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ ( البقرة : ٣ : ٤ ) ، وقد ختمها الحق سبحانه وتعالى بتأكيد هذا المعنى ، وبيان أن هدايتهم محض تفضل منه تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ ( البقرة : ٥ ) .

كما يمكن حمل الآية على الهداية الخاصة ، ويكون وصف القرآن بأنه هدى للمتقين باعتبار أنه السبب فيها ، وإلا فهي بتوفيق من الله تعالى ، وتكون الآيات بعدها دليلاً على ذلك لما اشتملت عليه من أوصاف المتقين ، التي بسببها استحقوا أن يهديهم الله بأن يجعلهم يستجيبون وينتفعون بهدايات القرآن ، وتكون الآية دالة بمفهوم المخالفة على أن غير المتقين لا ينتفعون بهدايات القرآن بسبب ما هم فيه من كفر وكبر وعناد .

فالآية على كلا الاحتمالين تدل على نفس المعنى لكن الخلاف في طريقة الدلالة فعلى الأول بالاكتفاء ، وعلى الثاني بطريق المخالفة .

المثال الثاني : قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾ ( البقرة : ٣ ) .

يقول الإمام الزركشي : " وقوله : {الذين يؤمنون بالغيب} ، أي والشهادة لأن الإيمان بكل منهما واجب ، وآثر الغيب لأنه أبدع ولأنه يستلزم الإيمان بالشهادة من غير عكس "(١) .

وقبل أن أقرر إن كان هذا المثال يصلح أن يكون مثالاً للاكتفاء أم لا ، فإنه يجب علي أولاً بيان معنى قوله تعالى ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ ، يقول الإمام ابن عطية: " وقوله: بِالْغَيْبِ قالت طائفة: معناه يصدقون إذا غابوا وخلوا، لا كالمنافقين الذين يؤمنون إذا حضروا ويكفرون إذا غابوا. وقال آخرون: معناه يصدقون بما غاب عنهم مما أخبرت به الشرائع. واختلفت عبارة المفسرين في تمثيل ذلك، فقالت فرقة: «الغيب في هذه الآية هو الله عز وجل» وقال آخرون: «القضاء والقدر» وقال آخرون: «القرآن وما فيه من الغيوب» وقال آخرون: «الحشر والصراط والميزان والجنة والنار» "(٢) .

وبناءً على ما سبق يتضح أن قوله تعالى ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ يحتمل معنيين :

الأول : أنهم يؤمنون حال غيبتهم وخلوتهم كما يؤمنون حال شهودهم

---

( ١ ) البرهان في علوم القرآن ج٣ صـ ١٢٠ .

( ٢ ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج١ صـ ٨٤ .

وحضورهم ، فهم ليسوا كالمنافقين يؤمنون أمام الرسول – صلى الله عليه وسلم – ويكفرون بعد ذلك ، وعلى ذلك فالآية فيها اكتفاء ؛ حيث اكتُفِيَ بحال الغيب عن حال الشهادة ؛ لأن الإيمان حال الغيب يقتضي الإيمان حال الشهادة دون العكس ، ولكونه هو الدال على الإيمان والأصعب على النفس من الآخر، وهذا القول لم يذكره أكثر المفسرين .

الثاني : أنهم يؤمنون بما غاب عنهم مما أخبرهم به القرآن أو النبي – صلى الله عليه وسلم – وهذا يشمل جميع الغيبيات ، وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين ، وإن كانت الأقوال مختلفة إلا أن الغيب يشملها وزيادة ، فلا تعارض بينها ، وعلى ذلك يكون في الآية اكتفاء حيث اكتفى بذكر الغيب عن الشهادة ، والسر فيه أن الإيمان بالغيب يستلزم الإيمان بالشهادة دون العكس ، كما أنه أبدع وأصعب على الإنسان من الإيمان بالشهادة ، والمقام مقام مدح فناسب أن يذكر ما هو أثقل وأصعب على النفس .

ولا مانع من إرادة المعنيين فيكون الله تعالى قد مدحهم بالإيمان بما غاب عنهم ، وما حضر ، وحال غيبهم وشهودهم .

**المثال الثالث:** قول تعالى ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ ( البقرة : ٢٠ )

يقول الإمام الزركشي : "وقوله: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ ، فإنه سبحانه ذكر أولا الظلمات والرعد والبرق وطوى الباقي"(١) .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج٣ صـ ١٢٢ .

فكان مقتضى الكلام أن يقول الله تعالى " تكاد الظلمات والرعد والبرق تخطف أبصارهم ؛ لأنها ذُكرت قبل ذلك مجتمعة فاكتفى الله تعالى بذكر البرق عن الباقي .

**تعليق وترجيح :**

قبل أن أعلق على ماسبق يجب علي أولاً أن أفسر هذه الآية ، والآية قبلها اعتماداً على ماذكره أئمة التفسير فيهما ، وسأجمله في عدة نقاط (١) :

أولاً : أن هاتين الآيتين عبارة عن مثل ثان ضربه الله تعالى للمنافقين ، وهما معطوفتان على الآيتين قبلهما ، وهما قوله تعالى ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ ( البقرة : ١٧ : ١٨ ) .

ثانياً : أن الله تعالى شبه في هاتين الآيتين المنافقين بقوم نزل بهم صيب من السماء فيه ظلمات داجية ، ورعد قاصف ، وبرق خاطف ، وصور حالهم مع الرعد بأنهم يجعلون أناملهم في آذانهم حين وقوعه خشية على أنفسهم أن يصيبهم الموت ، ثم بين الله تعالى في ختام هذه الآية أنه عليم بهم وبحالهم ، وأن ما يصنعونه لا يدفع

---

( ١ ) يُنظر الكشاف ج١ صـ ٨٣ ، والتسهيل لعلوم التنزيل للإمام ابن جزي الكلبي ج١ صـ ٧٤ ، ومحاسن التأويل للإمام القاسمي ج١ صـ ٢٥٩ ، وفتح القدير للإمام الشوكاني ج١ صـ ٥٧ ، وتفسير المراغي ج١ صـ ٦١ ، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ج١ صـ ٤٧ .

عنهم الموت الذي سيصيبهم لا محالة ، أما في الآية الثانية فيصور الحق جل وعلا حالهم مع البرق وكيف أنه يكاد يخطف أبصارهم ويستلبها ، وأنهم معه بين حالين عندما يُضيء لهم يمشون في ضوئه ، وعندما يُظلم يقفون أماكنهم لا يتحركون ولا يستطيعون الوصول إلى بغيتهم ، وتختم الآية ببيان أن الله تعالى قادر على كل شيء لو شاء لذهب بسمعهم وأبصارهم في أي وقت ، وحين .

ثالثاً : أن الله تعالى بين أولاً أن حالهم كحال من أصابه ظلمات ورعد وبرق ، ثم بين بعد ذلك حالهم مع الرعد ، ثم حالهم مع البرق ، حتى إن العلماء قالوا : إن هاتين الجملتين مستأنفتان لا محل لهما من الإعراب ، كأن سائلاً سأل أولاً ما حالهم مع الرعد ؟ فقيل : يجعلون أصابعم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ، وكأن سائلاً سأل ثانياً ما حالهم مع البرق ؟ فقيل : كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا .

**بناء على ماسبق يتضح :**

أن الآية لا اكتفاء فيها ولا حذف وأنها كما سبق توضح أولاً حال هؤلاء القوم مع الرعد ثم حالهم مع البرق ، ويؤيد ذلك ما ورد في ختام الآية الثانية على الترتيب المذكور أولاً ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ( البقرة : ٢٠ ) .

المثال الرابع : قوله تعالى ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ ( البقرة : ٤١ ) .

هذا المثال قد ذهب بعض العلماء إلى أن فيه اكتفاءً ، يقول الإمام الزركشي : " وقوله: {ولا تكونوا أول كافر به} ، قيل: المعنى وآخر كافر به فحذف المعطوف لدلالة قوة الكلام من جهة أن أول الكفر وآخره سواء وخصت الأولوية بالذكر لقبحها بالابتداء " (١) .

بينما يرى آخرون أن فيه نوعاً آخر من أنواع الإيجاز بالحذف وهو حذف الموصوف ، يقول الشيخ / محمد بن الأمين الهرري الشافعي : " وقد تضمنت هذه الآيات ضروبا من البلاغة ، وأنواعا من الفصاحة والبيان والبديع : ........ ومنها : الإيجاز بالحذف في قوله : {وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ} ؛ لأنه على حذف موصوف؛ أي : أوّل فريق كافر به " (٢) .

ويصور الإمام السمين الحلبي السبب الذي جعل العلماء يلجأون إلى ذلك وأقوالهم في الآية فيقول : " واعلم أَنَّ «أَوَّل» أَفْعَلُ تفضيلٍ، وأَفْعَلُ التفضيلِ إذا أُضيفَ إلى نكرةٍ كان مفرداً مذكراً مطلقاً. ثم النكرةُ المضافُ إليها أَفْعل: إمَّا أن تكونَ جامدةً أو مشتقةً، فإنْ كانَتْ جامدةً طابقَتْ ما قبلها نحو: الزيدان أفضلُ رجلَيْن، الزيدون أفضلُ رجال، الهنداتُ أفضلُ نسوةٍ. وأجاز المبردُ إفرادَها مطلقاً

(١) البرهان في علوم القرآن ج٣ صـ ١٢١ .

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج١ صـ ٤٠٣ .

ورَدَّ عليه النَّحْويون. وإن كانَتْ مشتقةً فالجمهورُ أيضاً على وجوبِ المطابقةِ نحو: «الزيدُون أفضلُ ذاهبين وأكرمُ قادمين» ، وأجازَ بعضُهم المطابقةَ " وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ " ، وإذا هُمُ طَعِمُوا فَالأَمُ طاعِمٍ ... وإذا هُمُ جاعوا فَشَرُّ جِياعِ [١] ، فَأَفْرَدَ في الأولِ وطابَقَ في الثاني. ومنه عندَهم: {وَلاَ تكونوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} . إذا تقرَّر هذا فكان ينبغي على قولِ الجمهور أن يُجْمع «كافر» ، فأجابوا عن ذلك بأوجهٍ: أَجْوَدُها: أَنَّ أَفْعَل في الآية وفي البيتِ مضافٌ لاسمٍ مفردٍ مُفْهِمٍ للجمع حُذِفَ وبَقِيتْ صفتُه قائمةً مَقامَه، فجاءت النكرةُ المضافُ إليها أفْعَل مفردةٍ اعتباراً بذلك الموصوف المحذوف، والتقديرُ: ولا تكونوا أولَ فريقٍ أو فوجٍ كافرٍ، وكذا: فَالأَمُ فريقٍ طاعمٍ، وقيل: لأنه في تأويل: أَوَّلَ مَنْ كفر به، وقيل: لأنه في معنى: لا يكُنْ كلُّ واحدٍ منكم أولَ كافرٍ، كقولِك: كساناً حُلَّةً أي: كلَّ واحدٍ منا، ولا مفهومَ لهذهِ الصفةِ هنا فلا يُراد: ولا تكونوا أولَ كافرٍ بل آخرَ كافر. ولَمَّا اعتقدَ بعضُهم أنَّ لها مفهوماً احتاجَ إلى تأويل جَعْلِ «أول» زائداً، قال: تقديرُه ولا تكونوا كافرين به، وهذا ليس بشيء، وقدَّره بعضُهم بأَنَّ ثَمَّ معطوفاً محذوفاً تقديرُه: ولا تكونوا أولَ كافرٍ به ولا آخرَ كافرٍ، ونصَّ على الأول لأنه أَفْحَشُ للابتداءِ به، وهو نظيرُ قولِه:

**مِنْ أُناسٍ ليسَ في أَخْلاقِهِمْ عاجلُ ... الفُحْشِ ولا سوءُ الجَزَعْ** [٢]

---

(١) لم أقف على قائلة ، وقد ذكره بعض العلماء دون نسبته لقائله ، يُنظر معاني القرآن للإمام الفراء ج١ صـ ٣٣ ، ٢٦٨ ، وشرح ديوان المتنبي للإمام الواحدي ج١ صـ ١٦٥ ، والاشتقاق للإمام أبي بكر بن دريد ج١ صـ ٤١٧ .

(٢) لم أقف عليه .

لا يريد أن فيهم فُحْشاً آجِلاً، بل يريد لا فُحْشَ عندهم لا عاجلاً ولا آجِلاً. والهاءُ في «به» تعودُ على «ما أَنْزَلْتُ» وهو الظاهرُ، وقيل: على «ما معكم» وقيل: على الرسولِ عليه السلام لأنّ التنزيلَ يَسْتَدْعِي مُنَزَّلاً إليه، وقيل: على النعمةِ ذهاباً بها إلى معنى الإِحسانِ "(١) .

تعليق وترجيح :

يتضح مما سبق أن العلماء اتفقوا على أن أفعل التفضيل إذا أُضيف إلى نكرة كان مفرداً مطلقاً ، واختلفوا في هذه النكرة هل تُطابق ما قبل أفعل التفضيل أو لا إلى قولين :

الأول : قول الجمهور : يجب مطابقتها ، وعليه ذهبوا في تأويل هذه الآية إلى أقوال : أقواها أن الكلام فيه إيجاز بالحذف ؛ حيث حذف الموصوف ، وتقدير الكلام " ولا تكونوا أول فريق كافر به " ، أو أن فيه اكتفاءً حيث اكتفى بذكر أول كافر به عن آخر كافر به ، وتقدير الكلام " ولا تكونوا أول كافر به ولا آخر كافر ، والسر فيه أن أول الكفر أشنع وأبشع من آخره فبدأ به .

الثاني : قول المبرد لا يجب مطابقتها مطلقاً ، واستدل بهذه الآية .

والراجح والله أعلم هو رأي الجمهور أن في الآية نوعاً من أنواع الإيجاز بالحذف سواء حذف موصوف أم اكتفاء وإن كنت لا أرجح أحدهما على الآخر .

---

(١) الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون للإمام السمين الحلبي ج١ صـ ٣١٧ ، ٣١٨ .

المثال الخامس : قوله تعالى : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (البقرة : ٥٩ )

ذهب بعض العلماء إلى أن في الآية اكتفاء ؛ حيث اكتفى بالقول عن الفعل ، وكان مقتضى الكلام أن يقول : فبدل الذين ظلموا قولاً وفعلاً غير الذي قيل لهم ، يقول الإمام الزركشي : " وقوله: {فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم} ، أي وفعلاً غير الذي أمروا به لأنهم أمروا بشيئين: بأن يدخلوا الباب سجداً وبأن يقولوا حطة فبدلوا القول في [حطة] [حنطة] وبدلوا الفعل بأن دخلوا يزحفون على أستاههم ولم يدخلوا ساجدين "(١) .

ويقول الشيخ / محمد الأمين الهرري الشافعي : " وظاهر نظم القرآن أنّهم بدّلوا القول فقط دون العمل، وبه قال جماعة. وقيل: بل بدلوا العمل والقول جميعاً، فمعنى قوله: {قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ} أي: أمراً غير الذي أمروا به، فإن أمر الله قول، وهو تغيير جميع ما أمروا به "(٢) .

## تعليق وترجيح :

يجب علي أولاً قبل أن أعقب على هذا الكلام أن أفسر الآية تفسيراً مبسطاً حتى أقف على حقيقة هذا الكلام ، جاء في التفسير الوسيط : " وقد أمرهم الله أن

(١) البرهان في علوم القرآن ج٣ صـ ١٢٢ .

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج١ صـ ٤٢٥ ، ويُنظر روح البيان للشيخ / إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي ج١ صـ ١٤٤ .

يدخلوها من بابها فقال: {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا} متطامنين خاشعين: شكرًا لله تعالى على إخراجكم من التيه، والإنعام عليكم بالاسترزاق في هذه القرية .

كما أَمرهم أن يسألوه تعالى: العفو عن ذنوبهم الماضية فقال لهم: {وَقُولُوا حِطَّةٌ} أي حِطةٌ منك يا الله لخطايانا وغفرانٌ لذنوبنا. ووعدهم الله أن يستجيب دعاءهم واستغفارهم عن خطاياهم فقال: {نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ}: نستر لكم سيئاتكم السابقة، فلا نعاقبكم عليها {وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ}: ثوابًا على إحسانهم، فوق غفران خطاياهم، ولكن هؤلاء المنكرين للنعم لم يستجيبوا {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا} بما أمروا به وهو قولهم: حطَّةٌ، المفيد لطلب حط ذنوبهم وغفرانها {قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ} ليس فيه خضوع واستغفار لذنوبهم، إعراضاً وعنادًا منهم لربهم {فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}: أي فأنزلنا عليهم- لظلمهم- عذابًا من السماءَ، بسبب ما استمروا عليه من الفسق المتجدد، والخروج عن الطاعة آنا فآنا "(١) .

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه قال : حدثني إِسْحَاقُ بن نَصْرٍ حدثنا عبد الرَّزَّاقِ عن مَعْمَرٍ عن هَمَّامِ بن مُنَبِّهٍ أَنَّهُ سمع أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يقول قال رسول اللهِّ ﷺ : " قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ "وادخلوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ " فَبَدَّلُوا فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ على أَسْتَاهِهِمْ وَقَالُوا حَبَّةٌ في شَعْرَةٍ "(٢) .

---

(١) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج١ صـ ١١١ .

(٢) صحيح البخاري – كتاب الأنبياء – باب طوفان من السيل – حديث رقم (٣٢٢٢) ج٣ صـ ١٢٤٨.

<u>**بناء على ماسبق يتضح ما يلي :**</u>

**أولاً** : أن الله تعالى أمرهم بثلاثة أشياء : أن يدخلوا القرية ويأكلوا منها حيث شاءوا، وهذا الأمر للإباحة ، وأن يدخلوا الباب مطَأطئي الرؤوس خاشعين ، وأن يطلبوا من الله تعالى أن يحط عنهم ذنوبهم ، وهما للوجوب .

**ثانياً** : أن الله تعالى وعدهم أن يغفر لهم خطاياهم إن امتثلوا للأمرين الأخيرين .

**ثالثاً** : بين الله عز وجل بعد ذلك أنهم لم يُنفذوا ما أمروا به ، بل غيروا وبدلوا ، وقد فصل النبي – صلى الله عليه وسلم – ذلك بأنهم دخلوا يزحفون على أستاههم ، وقالوا حبة في شعرة .

**رابعاً** : بين الله تعالى عقب ذلك أنه عاقب من لم يمتثل منهم بأن أنزل عليهم رجزاً من السماء عقاباً لهم على صنيعهم .

إذن فالآية فيها أمران : أمر بفعل شيء ، وأمر بقول شيء ، وبما أن الأمرين من جملة القول فقد بين الحق تعالى أنهم بدلوا به قولا آخر على اعتبار أنه يشمل الأمرين معاً ، فالآية على ذلك ليس فيها اكتفاء .

ومن الممكن أن تكون الآية من باب الاكتفاء على اعتبار أن الأمرين وإن كانا من جملة القول إلا أنهم بدلوهما حقيقة بفعل وقول والاحتمال الأول يصح في حال لو نفى الله تعالى امتثالهم للأمرين بأن قال مثلاً ( فلم يستجيبوا لقول الله ) ولكنه ذكر أنهم بدَّلوهما ، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، ويكون السر فيه أن الأمرين معاً يدلان على طلب المغفرة من الله تعالى قولاً وعملاً وأسهلهما القول ،

فإذا أخبر الله تعالى عنهم بأنهم بدلوا به غيره كان الفعل مُبَدَّلاً من باب أولى ، وهذا الاحتمال هو ما يظهر لي رجحانه ، والله تعالى أعلى وأعلم .

المثال السادس : قوله تعالى : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ ( البقرة : ١٨٧ ) .

هذا المثال ذهب بعض العلماء إلى أن فيه اكتفاءً ، يقول الإمام الزركشي : " وقوله: {حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر} . فإن قيل: ليس للفجر خيط أسود إنما الأسود من الليل. فأجيب: إن {من الفجر} متصل بقوله: {الخيط الأبيض} والمعنى حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل لكن حذف [من الليل] لدلالة الكلام ثَمَّ عليه ولوقوع الفجر في موضعه لأنه لا يصح أن يكون [من الفجر] متعلقا بالخيط الأسود ولو وقع [من الفجر] في موضعه متصلاً بالخيط الأبيض لضعفت الدلالة على المحذوف وهو [من الليل] فحذف [من الليل] للاختصار وأخر [من الفجر] للدلالة عليه "(١) .

بينما يرى بعض العلماء رأياً آخر في هذه الآية ، يقول الشيخ محمد الأمين الهرري الشافعي : " {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ} فيه مجازان ؛ لأنه شبه بالخيط الأبيض ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق، وبالأسود ما يمتد معه من غبش الليل وظلامه، شبهها بخيطين أبيض وأسود، وأخرجه من الاستعارة إلى التشبيه قوله: {مِنَ الْفَجْرِ} كقولك: رأيت أسدًا من زيد، فلو لم يذكر من زيد

( ١ ) البرهان في علوم القرآن ج٣ صـ ١٢٣ .

كان استعارة، وكان التشبيه هنا أبلغ من الاستعارة؛ لأن الاستعارة لا تكون إلا حيث يدل عليها الحال أو الكلام، وهنا لو لم يأت من الفجر لم يعلم الاستعارة . والله سبحانه وتعالى أعلم " (١) .

وقد جمع الإمام القاسمي بين الرأيين فقال : " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ أباح تعالى الأكل والشرب- مع ما تقدّم من إباحة الجماع- في أيّ الليل شاء الصائم إلى أن يتبيّن ضياء الصباح من سواد الليل. وشبّها بخيطين: أبيض وأسود، لأنّ أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق وما يمتدّ معه من غبش الليل، كالخيط الممدود.

قال أبو دؤاد الإياديّ:

**فلما أضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط أنارا..!** (٢)

وقوله مِنَ الْفَجْرِ بيان للخيط الأبيض. واكتفى به عن بيان الخيط الأسود، لأن بيان أحدهما بيان للثاني. وقد رفع بهذا البيان الالتباس الذي وقع أول أمر الصيام (٣).

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج٣ صـ ١٧٦ ، ويُنظر تفسير النيسابوري ج١ صـ ٥١٤ ، ٥١٥ ، و تفسير أبي السعود ( إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ) ج١ صـ ٢٠٢ .

(٢) البيت لأبي دواد الإيادي ، يُنظر لسان العرب للإمام ابن منظور ج٧ صـ ٢٩٨ ، وتاج العروس للإمام الزَّبيدي ج١٩ صـ ٢٨١ ، والصحاح للإمام الجوهري ج١ صـ ١٩٣ .

(٣) تفسير القاسمي ( محاسن التأويل ) ج٢ صـ ٤٣ .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم المراد من الآية ، أخرج الإمام البخاري قال : " حدثنا حَجَّاجُ بن مِنْهَالٍ حدثنا هُشَيْمٌ قال أخبرني حُصَيْنُ بن عبد الرحمن عن الشَّعْبِيِّ عن عَدِيِّ بن حَاتِمٍ رضي الله عنه قال لَمَّا نَزَلَتْ ) حتى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ من الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ( عَمَدْتُ إلى عِقَالٍ أَسْوَدَ وَإِلَى عِقَالٍ أَبْيَضَ فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وِسَادَتِي فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ في اللَّيْلِ فلا يَسْتَبِينُ لي فَغَدَوْتُ على رسول اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ له ذلك فقال : إنما ذلك سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ "(١) .

**تعليق وترجيح :**

**يتضح مما سبق ما يلي :**

**أولاً** : أن الآية ليست على حقيقتها وأن المراد بالخيط الأبيض بياض النهار وبالأسود سواد الليل .

**ثانياً** : أن العلماء قد اختلفوا في الآية على ثلاثة أقوال :

القول الأول: أن فيها اكتفاء حيث اكتفى بذكر من الفجر عن ذكر من الليل وكان مقتضى الكلام أن يقول : وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل ، فحذف ( من الليل ) وأخَّر ( من الفجر ) ليدل على المحذوف .

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الصوم – بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حتى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ من الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ من الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إلى اللَّيْلِ " – حديث رقم ( ١٨١٧ ) ج٢ صـ ٦٧٧ .

القول الثاني : أن فيها تشبيهاً ، حيث شبه بياض النهار بالخيط الأبيض وسواد الليل بالخيط الأسود ، ثم حذف المشبَّه ودلَّ عليه بقوله من الفجر ، ولولا ذكره لخرج إلى الاستعارة .

القول الثالث : أن فيها تشبيهاً واكتفاء ، وهو رأي يجمع بين الرأيين ، وهذا ما أميل إليه فالقول بالاكتفاء لا يمنع أن يكون فيها تشبيه ؛ لاستحالة أن يكون المراد بالخيط الأبيض والأسود حقيقته ، وهذا ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم رضي الله عنه ، ولعل السر في الاكتفاء أن بياض النهار وسواد الليل يتضحان عند الفجر لا الليل .

المثال السابع : قوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ ( البقرة : ٢٧٣ ) .

هذا المثال ذهب بعض العلماء إلى أن فيه اكتفاء ، يقول الإمام الزركشي : " وقوله : ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ ﴾ (١) .

وقد بين الشيخ محمد الأمين الهرري الشافعي معنى الإلحاف فقال : " والإلحاف وكذا الإلحاح هو: أن يُلازِم المسؤولَ حتى يعطيهُ. من قولهم: لحفني من

( ١ ) البرهان في علوم القرآن ج٣ صـ ١٢٠ .

فضل لحافه؛ أي: أعطاني من فضل ما عنده (١) .

وقد اختلف العلماء في المراد من قوله تعالى ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ جاء في التفسير الوسيط : " {لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا}: أي لا يسألون الناس مُلِحِّين في السؤَال، كعادة الفقراء . والمراد: أنهم لا يسألون الناس أصلا، كما قاله ابن عباس . ومن أجل ذلك جُهِل حالهم، ولم يُعْرَفوا إلا استنباطا من علاماتهم . فالنفي هنا موجه، للأمرين جميعًا: السؤال، والإلحاح . وإلى هذا ذهب الفراءُ، والزجاج، وأكثر المفسرين . وقيل المراد، أنهم لا يسألون، وإن سألوا عن ضرورة - لم يلحوا . والأول هو الراجح (٢) .

وهناك رأي آخر للإمام الرازي في تفسير الآية ، وهو أن قوله تعالى : ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ ليس صفة لهؤلاء الفقراء ؛ لأن كلام الله تعالى قبل

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج٤ صـ ٩٠ ، ويُنظر عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للإمام السمين الحلبي ٤ صـ ١٤ ، وفتح الرحمن في تفسير القرآن للشيخ مجير الدين العليمي المقدسي ١ صـ ٣٩٠ ، ٣٩١ ، وأيسـر التفاسـير للشيخ أبي بكر الجزائري ج ١ صـ ٢٦٥ .

(٢) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج١ صـ ٤٦٩ ، وهذا تلخيص لما ذكره المفسرون ، يُنظر على سبيل المثال : التفسير البسيط للإمام الواحدي ٢ صـ ٤٧٧ ، وتفسير البغوي ج١ صـ ٣٨٨ ، وزاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي ج١ صـ ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، وتفسير النسفي ج١ صـ ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، والدرر المصون في علوم الكتاب المكنون للإمام السمين الحلبي ج٢ صـ ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، وتفسير أبي السعود ١ صـ ٢٦٥ .

ذلك يدل على هذه الصفة ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾ ، فهم لا يسألون الناس أصلاً ، وإنما جيء بها لغرض التعريض بهؤلا الذين يسألون الناس إلحافاً ، وبيان أن أصل السؤال مشروع دون الإلحاف (١) .

**تعليق وترجيح :**

**يتضح مما سبق ما يلي :**

**أولاً** : أن معنى الإلحاف هو الإلحاح في السؤال وملازمة المسئول وتكرار السؤال حتى يعطيه .

**ثانياً** : أن الآية وصفت هؤلا الفقراء بأنهم لا يسألون الناس إلحافاً ، وهو يحتمل معنيين :

الأول : أن يكون النفي منصباً على هذه الهيئة ، وهي السؤال بإلحاف ، وليس على كل السؤال ، وهذا ما ذهب إليه بعض المفسرين ، وعلى ذلك فالآية لا اكتفاء فيها.

الثاني : أن يكون النفي منصباً على السؤال مطلقاً سواء كان بإلحاف أم بغيره ، وعلى ذلك فالآية من باب الاكتفاء والتقدير ولا غير إلحاف ، وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين ، وهو ما أميل إليه لأن سياق الآية يرجحه ، فالآية تتحدث عن صفاتهم ، ومنها : يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهذا يُنافي سؤالهم للناس ،

---

(١) يُنظر تفسير الرازي ج٧ صـ ٦٩ .

وأيضاً تعرفهم بسيماهم ، لا بسؤالهم الناس ، فهم معروفون بعلامات الفقر .

ولعل السر في التنصيص على ذلك مع أنه يُفهم من الكلام ما ذكره الإمام الرازي من إرادة التوبيخ والتشنيع على من يسأل الناس إلحافاً واكتفى به لئلا يُفهم منه ذم السؤال مطلقاً ؛ لأن المقام مقام ذم .

أضف إلى ذلك أن الله سبحانه وتعالى أراد منا في هذه الآية أن نكفي هؤلاء ذل السؤال ولا نضطرهم إليه وأن نكون من الفراسة والفطنة بحيث يتبين لنا هؤلاء ، فكأنه سبحانه قال : ابحثوا عن هؤلاء فهم أولى بالصدقة ولا تضطروهم أن يسألوا الناس مطلقاً بإلحاف أو بغير إلحاف [١] .

المثال الثامن : قوله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ ( البقرة : ٢٨٥ ) .

هـذا المثال ذهب بعض العلماء إلى أن فيـه اكتفاء ، يقـول الإمـام الزركشي : " وقوله: {لا نفرق بين أحد من رسله} ، أي بين أحد وأحد " [٢] .

وفي بيان معنى ذلك يقول الأستاذ / سعيد حوّى : " لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ أي: يقولون هذا. فهم لا يفرقون بين رسول، ورسول. فيؤمنون ببعض،

---

( ١ ) يُنظر تفسير الشعراوي ج٢ صـ ١١٨٠ .

( ٢ ) البرهان في علوم القرآن ج٣ صـ ١٢١ .

ويكفرون ببعض. بل الجميع عندهم صادقون، بارون، راشدون، مهديون هادون إلى سبيل الخير " ( ١ ) .

وبين لا تدخل إلا على شيئين فأكثر ، ولذلك اختلف العلماء في المراد منها ، يقول الإمام أبو حيان الأندلسي : " و: أحد، هنا هي المختصة بالنفي، وما أشبهه؟ فهي للعموم، فلذلك دخلت: من، عليها كقوله تعالى: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ ( الحاقة : ٤٧ ) والمعنى بين آحادهم. قال الشاعر:

**إذا أمور الناس ديكت دوكا لا يرهبون أحدا رأوكا** ( ٢ )

قال بعضهم: وأحد، قيل: إنه بمعنى جميع، والتقدير: بين جميع رسله، ويبعد عندي هذا التقدير، لأنه لا ينافي كونهم مفرقين بين بعض الرسل. والمقصود بالنفي هو هذا، لأن اليهود والنصارى ما كانوا يفرقون بين كل الرسل، بل البعض، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، فثبت أن التأويل الذي ذكره باطل، بل معنى الآية: لا يفرق أحد من رسله وبين غيره في النبوة " ( ٣ ) .

ويقول الإمام السمين الحلبي : " {بَيْنَ أَحَدٍ} متعلِقٌ بالتفريقِ، وأُضيف «بين» إلى أحد وهو مفرد، وإنْ كان يقتضي إضافَتَه إلى متعدد نحو: «بين الزيدين» أو «بين زيد وعمرو» ، ولا يجوزُ «بين زيد» ويَسْكُت: إمَّا لأنَّ «أحداً» في معنى العموم

( ١ ) الأساس في التفسير ج١ صـ ٦٧٠

( ٢ ) لم أقف عليه .

( ٣ ) البحر المحيط ج٢ صـ٧٥٨ .

وهو «أحد» الذي لا يُسْتعمل إلا في الجَحْد ويُراد به العمومُ، فكأنه قيل: لا نفرِّقُ بين الجميعِ من الرسل. قال الزمخشري: كقوله: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحاقة: ٤٧] ، ولذلكَ دَخَل عليه «بين» وقال الواحدي: «وبين» تقتضي شيئين فصاعداً، وإنما جاز ذلك مع «أحد» وهو واحدٌ في اللفظِ، لأنَّ «أحداً» يجوزُ أَنْ يُؤَدَّى عن الجميعِ، قال الله تعالى: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ وفي الحديث: «ما أُحِلَّتْ الغنائمُ لأحدٍ سودِ الرؤوسِ غيرِكم» (١) يعني فوصَفَه بالجمع، لأنَّ المرادَ به جمعٌ. قال: «وإنَّما جازَ ذلكَ لأن» أحداً «ليس كرجل يجوز أن يُثَنَّى ويُجْمع، وقولُك:» ما يفعل هذا أحدٌ «تريد ما يفعلُه الناسُ كلُّهم، فلمَّا كان» أحد «يؤدَّى عن

---

(١) هذا الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه – كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – باب ومن سورة التوبة – حديث رقم (٣٠٨٥) ٥ صـ ٢٧١ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث الأعمش .

كما أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه – باب الغنائم وقسمتها – حديث رقم (٤٨٠٦) ج١١ صـ ١٣٤ .

والإمام النسائي في السنن الكبرى – كتاب عمل اليوم والليلة – سورة الأنفال – حديث رقم (١١٢٠٩) ج٦ صـ ٣٥٢ .

والإمام البيهقي في سننه الكبرى – كتاب قسم الفئ والغنيمة – باب بيان مصرف الغنيمة في الأمم الخالية إلى أن أحلها الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولأمته – حديث رقم (١٢٤٨٨) ج٦ صـ ٢٩٠ .

والإمام أحمد في مسنده – مسند أبي هريرة رضي الله عنه – حديث رقم (٧٤٢٧) ٢ صـ ٢٥٢ .

والإمام ابن أبي شيبة في مصنفه – كتاب المغازي – غزوة بدر الكبرى ومتى كانت وأمرها – حديث رقم (٣٦٧٤٠) ٧ صـ ٣٦٥ .

الجميع جاز أَنْ يُسْتعمل معه لفظُ» بَيْن « وإنْ كان لا يجوز أَنْ تقولَ:» لا نفرِّقُ بين رجلٍ منهم » .

قلت : وقد رَدَّ بعضُهم هذا التأويلَ فقال : » وقيل إنَّ « أحداً » بمعنى جميع، والتقديرُ : بين جميعِ رسلهِ « ويَبْعُدُ عندي هذا التقديرُ ، لأنه لا ينافي كونَهم مفرِّقين بين بعضِ الرسلِ، والمقصودُ بالنفي هو هذا؛ لأن اليهود والنصارى ما كانوا يُفَرِّقون بين كلِّ الرسلِ بل البعضُ. وهو محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَثَبَت أنَّ التأويل الذي ذكروه باطلٌ، بل معنى الآية: لا نفرِّق بين أحدٍ من رسلهِ وبين غيرِهِ في النبوة، وهذا وإنْ كان في نفسه صحيحاً إلا أنَّ القائلين بكونِ « أحد » بمعنى جميع، وإنما يريدون في العمومِ المُصَحِّح لإِضافة بين إليه، ولذلك يُنَظِّرونه بقولِه تعالى: {فَمَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ} وبقوله :

**إذا أمورُ الناسِ دِيكَتْ دُوْكاً — لا يَرْهَبُونَ أحداً رَأَوْكا**

فقال: « رَأَوْكَ » اعتباراً بمعنى الجميعِ المفهومِ من « أحد ».

وأمَّا لأن ثَمَّ معطوفاً محذوفاً لدلالةِ المعنى عليه، والتقديرُ: لا نفرِّقُ بين أحدٍ من رسلهِ وبين أحدٍ، وعلى هذا فأحد هنا ليس الملازمَ للجحدِ ولا همزتُه أصليةٌ بل هو «أحد» الذي بمعنى واحد وهمزتُه بدلٌ من الواو، وحَذْفُ المعطوفِ كثيرٌ جداً [نحو] : ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبرد، [وقوله] :

**فما كانَ بينَ الخيرِ لو جاءَ سالماً — أبو حُجُرٍ إلاَّ ليالٍ قلائِلُ** (١)

---

(١) البيت للنابغة الذبياني ، يُنظر ديوانه ج١ صـ ٦٦ .

أي: بينَ الخيرِ وبيني "[١] .

**تعليق وترجيح :**

يتضح مما سبق أن بين لا تأتي إلا لشيئين فأكثر تقول : قعدت بين زيد وعمرو ، وجلست بين الرجال ، وقد جاء بعدها هنا لفظ مفرد ( أحد ) ، ولذلك فقد اختلف العلماء في المراد منها على قولين :

**القول الأول** : إن أحداً ليس على حقيقته ؛ لاستحالة أن يُراد به ذلك ، بل يفيد الجمع من حيث المعنى ، وهذا الرأي ذهب إليه أكثر المفسرين [٢] .

لكنهم اختلفوا في تأويلها إلى فريقين :

الأول : يرى أنها بمعنى جميع ، وهذا الرأي ضعيف لأن النفي لو انصب على الجميع فإنه لا ينصب على البعض ، فتدل الآية على النهي عن التفريق بين الجميع لا البعض ، وهو مخالف للمراد منها ، وقد ضعف هذا الرأي أكثر

---

( ١ ) الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون للإمام السمين الحلبي ج٢ صـ ٦٩٤ ، وما بعدها .

( ٢ ) يُنظر على سبيل المثال : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام الواحدي ج١ صـ ١٩٦ ، والبسيط ج٤ صـ ٥٣٠ ، وتفسير الزمخشري ج١ صـ ٣٣١ ، وتفسير البيضاوي ج١ صـ ١٦٦ ، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للإمام السمين الحلبي ج٣ صـ ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، والبحر المديد في تفسـير القرآن المجيد للشيخ أبي العباس الفاسي ج١ صـ ٣١٨ ، وفتح القدير للإمام الشوكاني ج١ صـ٣٥٣ ، والتفسـير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج١ صـ ٥٠١ .

المفسرين .

الثاني : يرى أنها بمعنى آحادهم ، والآية بذلك تنهى عن التفريق بين واحد منهم وغيره .

**القول الثاني** : إن أحداً على حقيقته وهمزته مبدلة من واو ، وفي الكلام اكتفاء؛ حيث اكتفى بأحد عن غيره، وتقدير الكلام ( لا نفرق بين أحد وأحد ) أو ( بين أحد وغيره ) ، وهذا الرأي ذهب إليه بعض العلماء والمفسرين واختاره الإمام أبو السعود [١] .

وأرى - والله تعالى أعلم – أن الخلاف بين الفريق الثاني من أصحاب القول الأول وبين أصحاب القول الثاني خلاف في اللفظ لا المعنى فكلاهما متفق على أن المراد بالآية النهي عن التفريق بين أحد وغيره من الرسل إلا أن بعضهم يرى أن لفظ ( أحد ) عبَّر عن هذا المعنى لأن المراد به آحادهم ، بينما يرى البعض الآخر أنه لا يعبِّر عنه بل لفظ محذوف آخر تقديره ( بين أحد وأحد ) أو ( بين أحد وغيره ) .

وسواء كان هذا أم ذاك ، فقد يكون السر في التعبير بلفظ ( أحد ) هنا

---

( ١ ) يُنظر على سبيل المثال : الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون للإمام السمين الحلبي ج٢ صـ ٦٩٦ ، والبرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ج٣ صـ ١٢٠ ، وتفسير أبي السعود ج٢ صـ ٥٥ .

للدلالة على أن جميع الرسل وإن اختلفت أشكالهم وصفاتهم وأجناسهم وأقوامهم إلا أنهم كالشيء الواحد ، الذي يمتنع فيه التفريق ، والله تعالى أعلى وأعلم .

□

## المبحـــث الثـانـي

## أمثلة لبعض مواضع الاكتفاء
## من أول سورة آل عمران إلى آخر سورة الأنعام ، وبيان السر فيها

المثال الأول : قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ ( آل عمران : ٢٦ ) .

ذكر الإمام الزركشي هذا المثال ضمن الأمثلة التي ذكرها للاكتفاء ، فقال: " وقوله: {بيدك الخير} تقدير: [والشر] إذ مصادر الأمور كلها بيده جل جلاله وإنما آثر ذكر الخير لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم إليه أو لأنه أكثر وجوداً في العالم من الشر ولأنه يجب في باب الأدب ألا يضاف إلى الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم: "والشر ليس إليك" (١) . وقيل: إن الكلام إنما ورد رداً على المشركين فيما أنكروه مما وعده الله به على لسان جبريل من فتح بلاد الروم وفارس ووعد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك فلما كان الكلام في الخير خصه بالذكر باعتبار الحال " (٢) .

---

( ١ ) المستدرك على الصحيحين – كتاب التفسير – ومن تفسير سورة بني إسرائيل – حديث رقم ( ٣٣٨٤ ) ج٢ صـ ٣٩٥ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة إنما أخرج مسلم حديث أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة ليخرجن من النار فقط

( ٢ ) البرهان في علوم القرآن ج٣ صـ ١١٩ .

**وقد اختلف العلماء في هذه الآية على مذاهب متعددة :**

١ – منهم من ذكر أن فيها اكتفاء صراحة ، ولم يذكر معه أي قول آخر ، كالإمام الواحدي والإمام السمعاني والإمام البغوي والإمام العليمي (١) .

٢ – منهم من ذكر سبب ذكر الخير فقط في هذه الآية دون التعرض لكونه اكتُفى به عن ذكر الشر أو لا ، مما يوحي بأنهم يرجحون أنه لا اكتفاء فيها ، كالإمام القشيري والإمام الجرجاني والإمام الزمخشري والإمام البيضاوي والإمام النيسابوري ، ومن الأسباب التي ذكروها :

أ – أن الله تعالى خالق كل شيء ولا يُنسب إليه إلا الخير عند التخصيص ويُنسب إليه غيره عند التعميم .

ب – أن المقام مقام دعاء فناسب أن يذكر الخير فكأن السائل يقول له بيدك الخير فأعطني منه .

ج – أن الله تعالى بيده الخير فقط أما الشر فمن البشر المكتسبين فعل الأشياء .

د – أن الفعل كله من الله تعالى خير وإن بدا ظاهره الشر إلا أن الخير كامن فيه .

هـ – أن هذا الأسلوب من باب الأدب مع الله تعالى بنسبة الخير فقط إليه .

---

(١) يُنظر البسيط للإمام الواحدي ج٥ صـ ١٥٩ والوجيز ج١ صـ ٢٠٥ ، وتفسير السمعاني ج١ صـ ٣٠٧ ، وتفسير البغوي ج٢ صـ ٢٤ ، وفتح الرحمن في تفسير القرآن للإمام العليمي ج١ صـ ٤٣٥ .

و – أن الكلام في الآية على وعد الله تعالى المسلمين بالتمكين في الأرض وفتح بلاد فارس والروم ، وقد كان المنافقون يستهزئون بالمسلمين لذلك ، ولا شك أن هذا خير (١) .

٣ – منهم من ذكر كلا الرأيين دون ترجيح ، كالإمام الكرماني ، والإمام ابن عطية ، والإمام ابن جزي الكلبي ، والإمام أبي حيان ، والإمام النسفي ، والإمام السمين الحلبي (٢) .

٤ – منهم من رجح أن المراد الخير فقط ، وضعف ما سوى ذلك كالشيخ السعدي والشيخ الشعراوي ، يقول الشيخ السعدي : " وقوله {بِيَدِكَ الْخَيْرُ} أي: الخير كله منك، ولا يأتي بالحسنات والخيرات إلا الله، وأما الشر، فإنه لا يضاف إلى الله تعالى، لا وصفاً، ولا اسماً، ولا فعلاً، ولكنه يدخل في مفعولاته، ويندرج في قضائه وقدره. فالخير والشر، كله داخل في القضاء والقدر، فلا يقع في ملكه إلا ما شاءه، ولكن الشر لا يضاف إلى الله، فلا يقال: "بيدك الخير والشر"، بل

---

( ١ ) يُنظر لطائف الإشارات للإمام القشيري ج١ صـ ٢٣١ ، ودرج الدرر في تفسير الآي والسور للإمام الجرجاني ج١ صـ ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، وتفسير الزمخشري ج١ صـ ٣٥٠ ، وتفسير البيضاوي ج٢ صـ ١١ ، وتفسير النيسابوري ج٢ صـ ١٣٨ .

( ٢ ) يُنظر غرائب التفسير وعجائب التأويل للإمام الكرماني ج١ صـ ٢٤٩ ، والمحرر الوجيز للإمام ابن عطية ج١ صـ ٤١٧ ، والتسهيل لعلوم التنزيل للإمام ابن جزي الكلبي جج١ صـ ١٤٨ ، والبحر المحيط في التفسير للإمام الواحدي ج٣ صـ ٨٨ ، وتفسير النسفي ج١ صـ ٢٤٦ ، والدرر المصون في علوم الكتاب المكنون للإمام السمين الحلبي ج٣ صـ ١٠٢ .

يقال: "بيدك الخير" كما قاله الله، وقاله رسوله. وأما استدراك بعض المفسرين حيث قال: "وكذلك الشر بيد الله" فإنه وهم محض، ملحظهم، حيث ظنوا أن تخصيص الخير بالذكر، ينافي قضاءه وقدره العام، وجوابه ما فصلنا "(١).

ويقول الشيخ الشعراوي : " وقد وقف العلماء عند قوله تعالى عن نفسه: {بِيَدِكَ الخير} [آل عمران: ٢٦] فاجتهد بعضهم فقال: التقدير: بيدك الخير والشر، وهذا التقدير يدل على عدم فهْم لمعنى الآية فما عند الله خير في كل الأحوال؛ لأن إيتاء المُلْك لمن ينصف في الرعية خير، ونزع المُلْك مِمَّنْ يطغى به ويظلم خير أيضا؛ لأن الله سلب منه أداة الطغيان حتى لا يتمادى، ففي كلٍّ خير "(٢).

**قلت** : ورد في القرآن الكريم وسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – ما يمكن أن يكون توضيحاً لهذه الآية ، قال تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ ( النساء : ٧٨ : ٧٩ ) .

أخرج الحاكم قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي حدثنا سعيد ابن مسعود حدثنا عبيد الله بن موسى أنبأ إسرائيل حدثنا أبو إسحاق عن صلة بن

---

( ١ ) تفسير السعدي ج١ صـ ٩٦٥ .

( ٢ ) تفسير الشعراوي ج١٧ صـ ١٠٨٤٧ .



زفر عن حذيفة بن اليمان سمعته يقول : في قوله عز وجل عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً قال: " يجمع الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، حفاة عراة كما خلقوا ، سكوتاً لا تتكلم نفس إلا بإذنه ، قال : فينادى محمد فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك المهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحان رب البيت، فذلك المقام المحمود الذي قال الله " عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً " (١).

## تعليق وترجيح :

يتضح مما سبق : أن الخير لا يكون إلا بيد الله عزوجل ولا ينسب إلا له ، أما الشر فهو بيد الله أيضاً ؛ فلا شيء يكون إلا بإذنه ، لكنه لا يُنسب إليه تعالى ، بل لمن اكتسبه وكان سبباً في استحقاقه ، وقد دل على ذلك القرآن والسنة ، فهناك فرق بين قوله – صلى الله عليه وسلم – " والخير بيديك ، وقوله : والشر ليس إليك ، ولو كانا متساويين في المعنى لقال : والشر ليس بيديك .

وبناء عليه يمكن القول : إن في الآية اكتفاء والسر فيه ما ذكره العلماء سابقاً من الوجوه ، والله تعالى أعلى وأعلم .

---

(١) سبق تخريجه يُنظر صـ ٥١ .

**المثال الثاني** : قوله تعالى : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾ ( النساء : ١٧٢ ) .

**اختلف العلماء في هذه الآية على أقوال :**

**القول الأول** : إن فيها اكتفاء ، والتقدير ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ومن لا يستنكف ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً ، فاكتفى بالأول عن الثاني ، وقد دل على المحذوف : التفصيل الوارد لكلا الفريقين في الآية بعده ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾ ( النساء : ١٧٣ ) .

وممن اختار هذا القول الإمام الزركشي [١] ، والإمام الشوكاني [٢] ، والشيخ / محمد الأمين الهرري الشافعي [٣] .

وممن ذكره الإمام الزمخشري ( ٤ ) ، والإمام أبو السعود ( ٥ ) ، والإمام

( ١ ) يُنظر البرهان في علوم القرآن ج٣ صـ١٢١ .

( ٢ ) يُنظر فتح القدير ج١ صـ ٦٢٥ .

( ٣ ) يُنظر تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج٧ صـ ١٧٢ ، ١٧٣ .

( ٤ ) يُنظر تفسير الزمخشري ج١ صـ ٥٩٧ ، ٥٩٨ .

( ٥ ) يُنظر تفسير أبي السعود جج٢ صـ ٢٦١ ، ٢٦٢ .

السمين الحلبي [١] ، والإمام النيسابوري [٢] .

**القول الثاني** : إن الآية لا حذف فيها وإنما الكلام على من يستنكف عن عبادته ويستكبر ، أما التفصيل المذكور في الآية بعدها فكان مقتضى الكلام أن يبين – تعالى – حال هؤلاء المستكبرين يوم القيامة ، لكنه ذكر حال غير المستكبرين وما أعده لهم من النعيم أولاً ليكون أعظم في الحسرة .

وممن اختار هذا الرأي الإمام أبو حيان [٣] .

وممن ذكره الإمام الزمخشري [٤] ، والإمام أبو السعود [٥] ، والإمام السمين السمين الحلبي [٦] ، والإمام النيسابوري [٧] .

**القول الثالث** : إن الآية لا حذف فيها ، والضمير في ( فسيحشرهم ) لا يعود على من ، وإنما يعود على العباد المشار إليهم بقوله ( عبدا )و( عبادته ) والتقدير حينئذ : فسيذلهم لأنه سيحشر العباد إليه جميعاً ، أي المستكبرين وغيرهم .

---

( ١ ) يُنظر الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون ج٤ صـ ١٧٠ .

( ٢ ) يُنظر تفسير النيسابوري ج٢ صـ ٥٣٥ .

( ٣ ) يُنظر البحر المحيط ج٤ صـ ١٤٨ ، ١٤٩ .

( ٤ ) يُنظر تفسير الزمخشري ج١ صـ ٥٩٧ ، ٥٩٨ .

( ٥ ) يُنظر تفسير أبي السعود ج٢ صـ ٢٦١ ، ٢٦٢ .

( ٦ ) يُنظر الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون ج٤ صـ ١٧٠ .

( ٧ ) يُنظر تفسير النيسابوري ج٢ صـ ٥٣٥ .

وممن اختار هذا الرأي الإمام البقاعي [١] .

**القول الرابع** : إن في الآية حذفاً ، تقديره فسيحشرهم وغيرهم ، وهذا يُشعر بأن فيه اكتفاء ؛ حيث اكتفى بهم عن غيرهم ، لكنه ليس كالقول الأول .

ومن ذكر هذ الرأي الإمام أبو السعود [٢] .

**تعليق وترجيح :**

يتضح مما سبق أن القول الرابع يتفق مع الأول في أن في الآية اكتفاء ، لكنهما يختلفان في موضع الحذف ، وكلاهما يؤدي نفس المعنى ، والفرق بينهما أن الأول جعل المحذوف ضد المذكور بينما الثاني جعله ضد الضمير الذي يرجع على المذكور ، وأرى أن الأول أولى بالقبول ، أما القول الثالث فيرى أن الضمير يرجع إلى ما يُفهم منه قوله ( عبدا )و( عبادته ) أي العباد جميعاً ، وهو بعيد لأن الأولى حمل الضمير على أقرب مذكور قبله .

أما القول الثاني فأرى – والله أعلم – أنه لا تناقض بينه وبين الأول ، ويمكن حمل الآية على كليهما من حيث المعنى ، فيكون في الآية اكتفاء تفصيله ما ذُكر سابقاً ، والدليل عليه ما ذُكر في الآية بعده من بيان مصير كل فريق ، وكان مقتضى الكلام أن يبدأ بذكر مصير من يستنكف ويستكبر ، لكنه آثر تقديم المؤمنين لمزيد حسرة الكافرين .

---

( ١ ) يُنظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي ج٥ صـ ٥٢٤ ، ٥٢٥ .

( ٢ ) يُنظر تفسير أبي السعود ج٢ صـ ٢٦١ ، ٢٦٢ .

ولعل السر في هذا الاكتفاء أن هؤلاء قد جمعوا مع استنكافهم واستكبارهم إنكار البعث والجزاء بخلاف غيرهم .

المثال الثالث : قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ ( الأنعام : ١٣ ) .

اختلف العلماء في معنى هذه الآية على قولين :

**القول الأول** : يرى أصحابه أن سكن هنا من السكنى بمعنى الحلول والاستقرار ، ونظيرها قوله تعالى : ﴿ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾ ( إبراهيم : ٤٥ ) .

وممن اختار هذا الرأي الإمام الطبري [١] ، والإمام الزمخشري [٢] ، والإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي [٣] .

وممن ذكره ورجحه الإمام ابن عطية [٤] ، والإمام الرازي [٥] ، والإمام ابن

---

( ١ ) يُنظر تفسير الطبري ج١١ صـ ٢٨١ ، ٢٨٢ .

( ٢ ) يُنظر تفسير الزمخشري ج٢ صـ ٩ .

( ٣ ) يُنظر التفسير الوسيط ج١ صـ ١٤٣٧ .

( ٤ ) يُنظر تفسير ابن عطية ج٢ صـ ٢٧٢ .

( ٥ ) يُنظر تفسير الرازي ج١٢ صـ ٤٩١ .

جزي الكلبي [١] ، والإمام النيسابوري [٢] .

وحجتهم :

١ – أن المتحرك أكثر من الساكن .

٢ – أن ذلك يوافق العموم المراد من الآية ويشمل جميع المخلوقات .

**القول الثاني** : أن سكن هنا من السكون ( ضد الحركة ) ، وقد انقسم أصحاب هذا الرأي إلى فريقين :

الفريق الأول: يرى أن الآية لا حذف فيها، وإنما المقصود ذكر ما سكن فقط ، وذلك لما يلي :

١ – أن السكون أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد .

٢ – أن الساكن أكثر عددا من المتحرك ، فالسكون أعم من الحركة ، لأن كل متحرك يصير إلى السكون ، فكل متحرك ساكن وليس العكس .

٣ – أن السكون هو الأصل والحركة طارئة .

الفريق الثاني : يرى أن في الآية حذفاً والتقدير وله ما سكن وتحرك في الليل والنهار فاكتفى بذكر ما سكن للأسباب التي ذكرها أصحاب الفريق الأول .

---

( ١ ) يُنظر التسهيل لعلوم التنزيل ج١ صـ ٢٥٦ .

( ٢ ) يُنظر تفسير النيسابوري ج٣ صـ ٥٦ .

ومن رجح رأي أصحاب هذا الفريق : الإمام عبد القاهر الجرجاني [١] ، والإمام العليمي [٢] .

ومن ذكر هذا القول وذكر كلا الفريقين بلا ترجيح ، مما يدل على أنه يرجح هذا القول : الإمام ابن الجوزي [٣] ، والإمام الشوكاني [٤] ، والشيخ محمد الأمين الهرري الشافعي [٥] .

ومن ذكر كل الأقوال بلا ترجيح : الإمام أبو حيان [٦] ، والإمام السمين الحلبي [٧] ، والإمام القاسمي [٨] .

**تعليق وترجيح :**

مما سبق يتضح أن في الآية قولين لاختلافهما في المراد من قوله تعالى " سكن " حيث يرى أصحاب الأول أنها من السكون بمعنى الاستقرار والحلول ، بينما يرى الآخرون أنها من السكون ( ضد الحركة ) ، وإن كان أصحاب هذا القول قد

---

( ١ ) يُنظر درج الدرر في تفسير الآي والسور ج٢ صـ ١١٩ .

( ٢ ) يُنظر فتح الرحمن في تفسير القرآن ج٢ صـ ٣٧٧ .

( ٣ ) يُنظر زاد المسير في علم التفسير ج٢ صـ ١٣ .

( ٤ ) يُنظر فتح القدير ج٢ صـ ١١٩ .

( ٥ ) يُنظر تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج٨ صـ ٢٣٢ .

( ٦ ) يُنظر البحر المحيط ج٤ صـ ٤٤٩ .

( ٧ ) يُنظر الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون ج٤ صـ ٥٥٣ ، ٥٥٤ .

( ٨ ) يُنظر تفسير القاسمي ج٤ صـ ٣٢٤ .

انقسموا فريقين إلا أنني أرى أن اختلافهما اختلاف تنوع لا تضاد ، بحيث يمكن الجمع بينهما بالقول بأن في الآية اكتفاء والسر فيه ما ذكره الفريقان سابقاً ، فما ذكره أصحاب المذهب الأول لا يمنع أن يكون مراداً عند الآخرين، وبناء عليه يكون في الآية قولان.

وقبل أن أناقش كلا القولين لابد من الرجوع إلى الآية التي تسبقها ، وهي قوله تعالى : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ ( الأنعام : ١٢ ) .

وبالنظر فيهما معاً يتضح أن الله تعالى قد بين في الآية الأولى أن ما في السماوات وما في الأرض له وحده تعالى ، وهذا يشمل المكان ؛ فلا مكان سواهما ، وفي الآية التي معنا بين أن ما في الليل والنهار له وحده تعالى ، وهذا يشمل الزمان ، فلا زمان سواهما ، فهو المالك للمكان وما فيه وللزمان وما فيه ، وقدم المكان والمكانيات لأنه أقرب للعقول ، وإن كان كلاهما يستلزم الآخر إلا أنه نص عليهما لكونه أبلغ في الملكية [١] .

والحق أن كلا القولين له وجاهته ويصعب ترجيح أحدهما على الآخر لكن من وجهة نظري القاصرة أرى – والله أعلم – أن القول الثاني هو الراجح ؛ لأنه المناسب لسياق الآيات فقد تحدثت أولاً عن المكان ثم الزمان والاستقرار بمعنى

---

( ١ ) يُنظر تفسير الرازي ج١٢ صـ ٤٩٠ ، ٤٩١ ، والبحر المحيط للإمام أبي حيان ج٤ صـ ٤٤٩ .

الحلول يُناسب المكان أكثر من الزمان [١] .

أما القول بأن الأول يناسب عموم الآية فلا يخفى أن القول الثاني يدل على العموم أيضاً بمذهبيه .

وبناء عليه فإن في الآية اكتفاءً حيث اكتفى بذكر ما سكن عمَّا تحرك ، والسر فيه ما ذُكر سابقاً ، ويُضاف إليه : أن ما تحرك يظهر كونه دليلاً على خالقه وموجده بخلاف ما سكن ، فلذلك نبه على ما سكن ، ولعل هذا هو سر تقديم الليل على النهار في الآية ، والله تعالى أعلى وأعلم .

□

---

( ١ ) يُنظر لسان العرب للإمام ابن منظور – مادة سكن – ج١٣ صـ ٢١١ ، وما بعدها .

## المبحث الثالث

## مثالان لموضعين من مواضع الاكتفاء
## من أول سورة الأعراف إلى ختام سورة العنكبوت ، وبيان السر فيهما

المثال الأول : قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (النحل : ٨١) .

هذا المثال من أشهر الأمثلة التي ذكرها العلماء للاكتفاء ، وقد اختلف العلماء فيه على قولين :

**القول الأول** : وهو قول أكثر المفسرين فهم يرون أن في الآية اكتفاء ؛ حيث اكتفى بذكر الحر عن البرد، وكان مقتضى الكلام أن يقول: سرابيل تقيكم الحر والبرد (١) .

وقد ذكر بعضهم السر وراء هذا الاكتفاء ، وهو يتلخص فيما يلي (٢) :

---

(١) يُنظر على سبيل المثال : تفسير البغوي ج٥ صـ ٣٦ ، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للإمام السمين الحلبي ج٣ صـ ٣٩٩ ، وتفسير ابن كثير ج٤ صـ ٥٠٨ ، وفتح الرحمن في تفسير القرآن للإمام العليمي ج٤ صـ ٤٧ ، وتفسير المراغي ج١٤ صـ ١٢٢ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ / الشنقيطي ج٢ صـ ٤٢٠ ، والأساس في التفسير للأستاذ / سعيد حوى ج٦ صـ ٢٩٦٣ ، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ج٥ صـ ٦٦٠ ، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ / محمد الأمين الهرري الشافعي ج١٥ صـ ٣٧١ .

(٢) يُنظر : التفسير البسيط للإمام الواحدي ج٣ صـ ١٦١ ، ١٦٢ ، وتفسير الزمخشري ج٢ صـ ٦٢٦ =

١ – أن ذكر أحد الضدين تنبيه على الآخر ، فإن الإنسان متى خطر بباله الحر خطر بباله أيضا البرد، وكذا القول في النور والظلمة والسواد والبياض، فلما كان الشعور بأحدهما مستتبعاً للشعور بالآخر، كان ذكر أحدهما مغنياً عن ذكر الآخر.

٢ – أن المخاطبين بهذا الكلام هم العرب وبلادهم حارة فكانت حاجتهم إلى ما يدفع الحر فوق حاجتهم إلى ما يدفع البرد كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ ﴾ ( النحل: ٨٠ ) وسائر أنواع الثياب أشرف، إلا أنه تعالى ذكر ذلك النوع لكون إلفتهم بها أشد، واعتيادهم للبسها أكثر، ولذلك قال تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾ ( النور: ٤٣ ) لمعرفتهم بذلك وما أنزل من الثلج أعظم ولكنهم كانوا لا يعرفونه.

٣ – ما وقى من الحر وقى من البرد، فكان ذكر أحدهما مغنيا عن ذكر الآخر ، فإن قيل: هذا بالضد أولى، لأن دفع الحر يكفي فيه السرابيل التي هي القمص من دون تكلف زيادة، وأما البرد فإنه لا يندفع إلا بتكلف زائد ، أجيب بأن القميص الواحد لما كان دافعا للحر كان الاستكثار من القميص دافعا للبرد .

القول الثاني : يرى بعض العلماء أن الآية ليس فيها اكتفاء ، وأن ذكر الحر هنا

---

= وتفسير ابن عطية ج٣ صـ ٤١٢ ، وزاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي ج٢ صـ ٥٧٦ ، وتفسير الرازي ج٢٠ صـ ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، والتسهيل لعلوم التنزيل للإمام ابن جزي الكلبي ج١ صـ ٤٣٣ ، والبحر المحيط في التفسير للإمام أبي حيان ج٦ صـ ٥٧٧ ، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور / سيد طنطاوي ج١ صـ ٢٥٥٥ .

مقصود وحده ؛ حيث سبقت الإشارة إلى الوقاية من البرد سابقاً ، يقول الإمام الزركشي : " والمشهور في مثال هذا النوع قوله تعالى: {سرابيل تقيكم الحر} أي والبرد هكذا قدروه. وأوردوا عليه سؤال الحكمة من تخصيص الحر بالذكر وأجابوا بأن الخطاب للعرب وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم لأنه أشد من البرد عندهم ، والحق أن الآية ليست من هذا القسم فإن البرد ذكر الامتنان بوقايته قبل ذلك صريحا في قوله: {ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها} وقوله: {وجعل لكم من الجبال أكنانا} وقوله في صدر السورة: {والأنعام خلقها لكم فيها دفء} ، فإن قيل: فما الحكمة في ذكر الوقايتين بعد قوله: {والله جعل لكم مما خلق ظلالا} ،فإن هذه وقاية الحر، ثم قال: {وجعل لكم من الجبال أكنانا} ،فهذه وقاية البرد على عادة العرب؟ ، قيل: لأن ما تقدم بالنسبة إلى المساكن وهذه إلى الملابس، وقوله: {وجعل لكم من الجبال أكنانا} لم يذكره السهيلي، وفيه الجوابان السابقان " (١) .

ويقول الشيخ الشعراوي : " السرابيل: هي ما يُلبس من الثياب أو الدروع: ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ...﴾[النحل: ٨١] أي: تحميكم من الحر، فقال هنا الحر أيضاً؛ لذلك وجدنا بعض العلماء يحاول أن يجد مخرجاً لهذه الآية فقال: المعنى تقيكم الحر وتقيكم البرد، ففي الآية اكتفاءٌ بالحر عن البرد؛ لأن الشيء إذا جاء يأتي مقابله. . فليس بالضرورة ذِكر الحالتين، فإحداهما تعني الأخرى، هذا دفاع مشكور منهم، ومعنى مقبول حول هذه الآية ، لكن لو فَطنَّا إلى باقي الآيات التي تحدثتْ في هذا

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج٣ صـ١١٨ ، ١١٩ .

الموضوع لوجدناها: واحدة تتكلم عن الحر، وهي هذه الآية، وأخرى تتكلَّم عن البرد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ [النحل: ٥] أي: من جلود الأنعام وأصوافها نتخذ ما يقينا البرد، وما نستدفئ به، وهكذا تتكامل الآيات وينسجم المعنى "(١) .

## تعليق وترجيح :

بعد عرض كلا القولين أقول – والله أعلم – : إن الراجح هو القول الأول وذلك لأن الآيات التي أشارت إلى وقاية البرد في قوله تعالى ﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ [النحل: ٥] في أول السورة وهذه بعدها بخمس وسبعين آية ، أما الآية فقد أشارت أولاً إلى وقاية الحر والبرد ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا ﴾ ، وهذا بالنسبة للأماكن ثم ذكرت وقاية السرابيل من الحر والبرد مكتفية بذكر الحر ، وهي وقاية خاصة بالسرابيل ، وبذلك تكون الآيات قد ذكرت الجميع ، ويكون السر فيه ما ذكره العلماء سابقاً ، والله – تعالى – أعلى وأعلم .

المثال الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ ( الإسراء : ٦٧ ) .

هذا المثال ضمن الأمثلة التي ذكرها الإمام الزركشي للاكتفاء ، فقال : " ومنه

---

(١) تفسير الشعراوي ج١٣ صـ ٨١٢٩ ، ٨١٣٠ .

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ أي والبر، وإنما آثر ذكر البحر لأن ضرره أشد "(١) .

وقد بحثت فوجدت أن أكثر المفسرين – إن لم يكن كلهم – لم يذكروا أن في الآية اكتفاء ، وقبل بيان ذلك يجب علي أولاً ذكر تفسير مختصر للآية وذكر بعض الآيات الأخرى التي تتحدث عما تحدثت عنه ، يقول الشيخ المراغي في بيان المعنى الإجمالي للآية : " بعد أن ذكر فى الآية السالفة أنه هو الحافظ الكالئ للعبد المؤمن من غواية إبليس، وأنه لا يستطيع أن يمسه بسوء- قفى على ذلك بذكر بعض نعمه تعالى على الإنسان التي كان يجب عليه أن يقابلها بالشكران لا بالكفران، وهو الذي يرى دلائل قدرته فى البر والبحر، فهو الذي يزجى له الفلك فى البحر لتنقل له أرزاقه وأقواته من بعيد المسافات، لكنه مع هذا هو كفور للنعمة إذا مسه الضر دعا ربه، وإذا أمن أعرض عنه وعبد الأصنام والأوثان، فهل يأمن أن يخسف به الأرض، أو يرسل عليه حاصباً من الريح فى البر، أو قاصفا من الريح فى البحر فيغرقه بكفره، وهل نسى أنه ضله على جميع الخلق، وبسط له الرزق، أفلا يفرده بالعبادة ويخبت له كفاء تلك النعم الظاهرة عليه؟ "(٢) .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج٣ صـ ١٢٠ .

(٢) تفسير المراغي ج١٥ صـ ٧٤ .



أما عن الآيات التي تتحدث عما تتحدث عنه هذه الآية فهي كثيرة ، منها [١] :

١ – قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ ( يونس : ٢٢ : ٢٣ ) .

٢ – قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ ( العنكبوت : ٦٥ ) .

٣ – قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ (لقمان :٣٢ ).

٤ – قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ ( الأنعام : ٦٣ : ٦٤ ) .

٥ – قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً

---

( ١ ) يُنظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ / الشنقيطي ج٣ صـ ١٧١ ، وما بعدها ، والصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور / حكمت بشير ياسين ج٣ صـ ٢٧٢ .

إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ( الروم : ٣٣ ) .

٦ - قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (الزمر : ٨).

**وبعد العرض السابق يتضح ما يلي :**

١ – أن هناك آيات من القرآن الكريم قد أفادت أن الإنسان يلجأ إلى الله تعالى في حالات وقوع الضر به ، كالآيتين الخامسة والسادسة السابقتين وجاء الضر فيهما مُنَكَّراً للدلالة على عمومه وشموله .

٢ – أن هناك آيات من القرآن قد أفادت أن الإنسان يلجأ إلى الله تعالى في حالات وقوع الضر به في ظلمات البر والبحر ، وهي أيضاً تدل على العموم كالسابقتين، وإن كانت نصت على الظلمات فلأن الضر فيها أشد .

٣ – أن هناك آيات من القرآن قد أفادت أن الإنسان يلجأ إلى الله تعالى في حالة وقوع الضر به في البحر ، كالآيات الثلاث الأُول ، على اختلاف في طريقة العرض ، إلا أنها تصب في نفس المعنى ، وهي كالآية التي معنا ، إلا أنها تختلف عنهم في إشارة الآية التي تليها إلى لجوء الإنسان إلى الله تعالى في حالة وقوع الضر به في البر أيضاً في قوله تعالى ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴾ ( الإسراء : ٦٨ ) ، وعليه يصح أن يُقال : إن في الآية اكتفاءً ؛ حيث

اكتفى بذكر البحر عن البر ؛ وذلك لأن ضرره أشد ، وهو أظهر في بيان حال الإنسان مع ربه ولجوئه إليه حال الشدة دون الرخاء .

## المبحث الرابع

## مثالان لموضعين من مواضع الاكتفاء من أول سورة الروم إلى ختام القرآن الكريم ، وبيان السر فيهما

المثال الأول : قوله تعالى : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ ( فاطر : ١٩ : ٢١ ) .

هذا المثال من الأمثلة التي انفرد بها بعض العلماء ،يقول الإمام الزركشي : " وقوله: {وما يستوي الأعمى والبصير. ولا الظلمات ولا النور. ولا الظل. ولا الحرور} ،قال ابن عطية: دخول [لا] على نية التكرار كأنه قال ولا الظلمات ولا النور ولا النور والظلمات واستغنى بذكر الأوائل عن الثواني ودل بمذكور الكلام على متروكه "(١) .

ويقول الإمام ابن عطية : " وقوله ( ولا النور ) ودخول ( لا ) فيها وفيما بعدها إنما هو على نية التكرار كأنه قال ( ولا الظلمات ) والنور ( ولا النور ) ولا الظلمات فاستغنى بذكر الأوائل عن الثواني ودل مذكور الآية على متروكه "(٢)

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج٣ صـ ١٢٣ .

(٢) المحرر الوجيز للإمام ابن عطية ج٤ صـ ٤٣٥ .

بينما وجدت في حدود علمي القاصر أن أكثر المفسرين لم يذكر أن في الآية اكتفاءً بل ذكر بعضهم فائدة ذكر لا هنا وهي تأكيد النفي ، يقول الإمام الزمخشري : " فإن قلت : لا المقرونة بواو العطف ما هي ؟ قلت : إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي "(١) .

**تعليق وترجيح :**

بعد عرض ما سبق يتضح أن قول من يرى أن الآية ليس فيها اكتفاء هو الراجح من وجهة نظري القاصرة ؛ لأني أرى أن القول بالاكتفاء فيه نوع من التكلف لا تحتاجه الآية ولا يُفيد جديداً وليس وراءه سر ، أضف إلى ذلك أن هذا هو قول أكثر المفسرين ؛ حيث لم أجد - في حدود علمي القاصر - من ذكره إلا الإمام ابن عطية، وقد حكاه عنه الإمام الزركشي ولم يرجحه .

المثال الثاني : قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ( الحديد : ١٠ ) .

هذا المثال ذهب بعض العلماء إلى أن فيه اكتفاء ، يقول الإمام الزركشي " وقوله: {لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل} ،أي ومن أنفق بعده

---

( ١ ) الكشاف ج٣ صـ ٦١٧ ، ويُنظر تفسير النسفي ج٣ صـ ٣٤١ .

وقاتل لأن الاستواء يطلب اثنين وحذف المعطوف لدلالة الكلام عليه ألا تراه قال بعده: {أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا} "(١) .

وقد نص عليهه بعض المفسرين ، يقول الإمام النسفي : " ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال ) لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ( أي فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس في دين الله أفواجاً ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لأن قوله من الذين انفقوا من بعد يدل عليه "(٢) .

ويقول الإمام ابن جزي الكلبي: " وفي الآية حذف دل عليه الكلام تقديره لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق من بعد الفتح وقاتل ثم حذف ذلك لدلالة قوله أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا "(٣) .

ويقول الإمام البيضاوي : " وقسيم من أنفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه "(٤) .

ويقول الإمام ابن عطية : " وأكثر المفسرين على أن قوله ( يستوي )

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج٣ صـ١٢١ .

(٢) تفسير النسفي ج٤ صـ ٢١٥ .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ج٤ صـ ٩٦ .

(٤) تفسير البيضاوي ج٥ صـ ٢٨٩ .

مسند إلى ( من ) وترك ذكر المعادل الذي لا يستوي معه لأن قوله تعالى ( من الذين انفقوا من بعد ) قد فسره وبينه "(١) .

ويقول الإمام الشوكاني : " وفي الكلام حذف والتقدير لا يستوي من أنفق من قبل الفتح ( وقاتل ) ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل فحذف لظهوره ولدلالة ما سيأتي عليه "(٢) .

**تعقيب وتعليق :**

بعد استعراض أقوال بعض المفسرين في هذه الآية يتضح أن فيها اكتفاءً ؛ لأن الاستواء لا يكون إلا بين شيئين ، وقد دل عليه ما ذكر بعد ذلك في نفس الآية ، من قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ ، ففيه إشارة إلى القسم الثاني المحذوف ، وقد حذف لظهوره ، ولأن في الكلام ما يدل عليه ، ولعل السر في حذفه هو الدلالة على عدم مقارنة الإنفاق قبل الفتح بالإنفاق بعده حتى إنه لم يذكرهما معاً مع تفاوتهما فكان ذلك للمبالغة في الدلالة على أن البون شاسع بينهما وكأنه لا إنفاق إلا ما كان قبل الفتح ، والله تعالى أعلى وأعلم .

□

---

(١) تفسير ابن عطية ج٥ صـ ٢٥٩ .

(٢) فتح القدير ج٥ صـ ١٦٨ .

# الخاتمة

بعد أن طفت في رياحين هذا الموضوع الشيق ونهلت من معين علمائنا الأكابر ، أستطيع أن ألخص نتائج هذا البحث فيما يلي :

**أولاً** : أن الاكتفاء فن بديع يظهر به حسن الكلام ورونقه .

**ثانياً** : أن هذا اللون قد ورد ذكره في القرآن الكريم .

**ثالثاً** : أن العلماء قد اختلفت مشاربهم في بعض الآيات القرآنية من حيث اشتمالها على هذا اللون أم لا .

**رابعاً** : أن هناك آيات من القرآن الكريم يترجح فيها استعمال الاكتفاء فيها على القول بعدمه .

**خامساً** : أن هناك آيات من القرآن الكريم يترجح فيها عدم استعمال الاكتفاء على استعماله .

**سادساً** : أن هناك آيات من القرآن الكريم يصح حملها على الاكتفاء وعدم الاكتفاء ، وفي بعض الأحيان يصح الجمع بينهما .

وبناءً عليه فإني أقترح أن يتناول الباحثون الموضوعات البلاغية المتنوعة من خلال القرآن الكريم فإنها تفتح آفاقاً جديدة لزيادة بيان إعجاز القرآن الكريم .

□

## المصادر والمراجع

١ – **الإتقان في علوم القرآن** ، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤ م .

٢ – **الأساس في التفسير** ، للأستاذ / سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ) ، دار السلام – القاهرة ، ط السادسة، ١٤٢٤ هـ .

٣ – **أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني** ، لأحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي ، وكالة المطبوعات – الكويت ، ط الأولى، ١٩٨٠ م .

٤ – **الأصلان في علوم القرآن** ، للدكتور / محمد عبد المنعم القيعي ، ط الرابعة ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

٥ – **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، للشيخ / محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، دار الفكر بيروت – لبنان ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .

٦ – **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير** ، للشيخ / جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبي بكر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ، السعودية ، ط الخامسة ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

٧ – **الإيضاح في علوم البلاغة** ، للإمام محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبي المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي (المتوفى: ٧٣٩هـ) ، تحقيق / محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل – بيروت ، ط الثالثة .

٨ - **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد** ، للإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) ، تحقيق/ أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشر حسن عباس زكي – القاهرة ، ١٤١٩ هـ.

٩ - **البحر المحيط في التفسير** ، للإمام أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ، تحقيق / صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ، ١٤٢٠ هـ .

١٠ - **البرهان في علوم القرآن** ، للإمام أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .

١١ - **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة** ، لعبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ) ، مكتبة الآداب ، ط السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .

١٢ - **البلاغة العربية** ، لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، ط الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

١٣ - **البيان والتبيين** ، للإمام عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبي عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ١٤٢٣ هـ .

١٤ - **التسهيل لعلوم التنزيل** ، للإمام أبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) ، تحقيق / الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط الأولى - ١٤١٦هـ .

١٥ – **التفسير البسيط** ، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ، تحقيق / مجموعة من الباحثين بجامعة الإمام محمد بن سعود، نشر عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط الأولى، ١٤٣٠ هـ .

١٦ - **تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)** ، للإمام محيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

١٧ – **تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)** ، للإمام ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) ، تحقيق / محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط الأولى - ١٤١٨ هـ .

١٨ - **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن** ، للشيخ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان ، ط الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

١٩ – **تفسير الرازي (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير)** ، للإمام أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الثالثة – ١٤٢٠هـ .

٢٠ – **تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)** ، للشيخ / عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ، تحقيق / عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠ م.

٢١ – **تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)** ، للإمام أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٢ – **تفسير السمعاني (تفسير القرآن)** ، للإمام أبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي (المتوفى: ٤٨٩هـ) ، تحقيق / ياسر بن إبراهيم ، وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن، الرياض – السعودية ، ط الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م .

٢٣ – **تفسير الشعراوي (الخواطر)** ، للإمام محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) ، مطابع أخبار اليوم ، ١٩٩٧ م .

٢٤ – **تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)** ، للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق / أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

٢٥ – **تفسير القاسمي (محاسن التأويل)** ، للإمام محمد جمال الدين بن محمد سعيد

بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ، تحقيق / محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط الأولى – ١٤١٨ هـ .

٢٦ – **تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)** ، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، تحقيق / محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ، ط الأولى – ١٤١٩ هـ .

٢٧ – **تفسير المراغي** ، للإمام أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م .

٢٨ – **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)** ، للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) ، تحقيق / يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب، بيروت ، ط الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

٢٩ – **تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)** ، للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) ، تحقيق / زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط الأولى – ١٤١٦ هـ .

٣٠ – **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** ، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ط الأولى، (١٣٩٣هـ – ١٩٧٣ م) .

٣١ – **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** ، للإمام محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر

للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ، ط الأولى .

٣٢ – **تهذيب اللغة** ، للإمام أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (المتوفى: ٣٧٠هـ) ، تحقيق / محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط الأولى، ٢٠٠١م .

٣٣ – **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع** ، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ) ، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية، بيروت .

٣٤ – **دَرْج الدُّرر في تفسير الآيِ والسور** ، للإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)

دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي ، مجلة الحكمة، بريطانيا، ط الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

٣٥ – **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** ، للإمام أبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) ، تحقيق / الدكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم، دمشق .

٣٦ – **روح البيان** ، للشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، أبي الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) ، دار الفكر – بيروت .

٣٧ – **زاد المسير في علم التفسير** ، للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ، تحقيق / عبد الرزاق المهدي ، دار

الكتاب العربي – بيروت ، ط الأولى – ١٤٢٢ هـ .

٣٨ – **زهر الآداب وثمر الألباب** ، للإمام إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبي إسحاق الحُصري القيرواني (المتوفى: ٤٥٣هـ) ، دار الجيل، بيروت .

٣٩ – **سنن البيهقي الكبرى** ، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي المتوفى ٤٥٨ ، تحقيق / محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .

٤٠ – **سنن الترمذي** ، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي المتوفى ٢٧٩ هـ ، تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٤١ – **السنن الكبرى** ، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى ٣٠٣ هـ ، تحقيق / د . عبد الغفار سليمان البنداري – سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط الأولى ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م .

٤٢ – **الشفاء في بديع الاكتفاء** ، للإمام محمد بن حسن بن علي بن عثمان النَّوَاجي، شمس الدين (المتوفى: ٨٥٩هـ) ، تحقيق / الدكتور محمود حسن أبو ناجي ، دار مكتبة الحياة، بيروت ، ط الأولى، ١٤٠٣ هـ .

٤٣ – **صحيح البخاري ، للإمام** أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المتوفى ٢٥٦ هـ ، تحقيق / د . مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير واليمامة – بيروت ، ط الثالثة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٤٤ – **صحيح ابن حبان** ، للإمام أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي

المتوفى ٣٥٤ هـ ، تحقيق / شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط الثانية .

٤٥ – **الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور** ، للدكتور حكمت بن بشير بن ياسين ، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية ، ط الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

٤٦ – **صحيح مسلم** ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى ٢٦١هـ ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث – بيروت .

٤٧ – **الصناعتين** ، للإمام أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ، تحقيق / علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العنصرية – بيروت ، ١٤١٩ هـ .

٤٨ – **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح** ، للإمام أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبي حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ) ، تحقيق / الدكتور عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، ط الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

٤٩ – **العقد الفريد** ، للإمام أبي عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط الأولى، ١٤٠٤ هـ .

٥٠ – **علم المعاني** ، لعبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ط الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م .

٥١ - **علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»** ، للإمام أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) .

٥٢ - **العمدة في محاسن الشعر وآدابه** ، للإمام أبي على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ) ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٥٣ - **كتاب العين** ، للإمام أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) تحقيق / د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .

٥٤ - **فتح القدير** ، للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، ط الأولى - ١٤١٤ هـ .

٥٥ - **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** ، للإمام أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط الثالثة - ١٤٠٧ هـ .

٥٦ - **لسان العرب** ، للإمام محمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت ، ط الثالثة - ١٤١٤ هـ .

٥٧ - **لطائف الإشارات** ، للإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) ، تحقيق / إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب

– مصر ، ط الثالثة .

٥٨ – **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** ، للإمام نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبي الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ) ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت ، ١٤٢٠ هـ .

٥٩ – **محاسن التأويل** ، للإمام محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ، تحقيق / محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلميه – بيروت ، ط الأولى – ١٤١٨ هـ .

٦٠ – **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) ، تحقيق / عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط الأولى – ١٤٢٢ هـ .

٦١ – **المستدرك على الصحيحين** ، للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري المتوفى ٤٠٥ هـ ، تحقيق / مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط الأولى ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م .

٦٢ – **مسند أحمد بن حنبل** ، للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى ٢٤١ هـ ، مؤسسة قرطبة – مصر .

٦٣ – **مصنف ابن أبي شيبة** ، للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، تحقيق / كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد – الرياض ، ط الأولى سنة

١٤٠٩ هـ .

٦٤ - **مفتاح العلوم** ، للإمام يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبي يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٦٥ - **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، للشيخ / محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط الطبعة الثالثة.

٦٦ - **النبأ العظيم** ، للدكتور / محمد بن عبد الله دراز (المتوفى : ١٣٧٧هـ) ، دار القلم للنشر والتوزيع ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م .

٦٧ - **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، للإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

□

# فهرس الموضوعات